سُورَةُ الزُّمَرِ
مكية وآياتها خمس وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)

الاعراب :

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) تنزيل مبتدأ والكتاب مضاف اليه ومن الله خبر والعزيز الحكيم نعتان ويجوز أن يكون تنزيل خبراً لمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل ومن الله متعلقان بالمصدر أو بمحذوف خبر بعد خبر أو بمحذوف حال من الكتاب . (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) ان واسمها وجملة أنزلنا خبر والجملة مستأنفة

مسوقة لبيان المنزل عليه وما يترتب عليه بعد نزوله وإليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به وبالحق حال من الفاعل أو المفعول أي ملتبسين بالحق أو ملتبساً بالحق • (فاعبد الله مخلصاً له الدين) الفاء الفصيحة واعبد الله فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ومخلصاً حال وله متعلقان بمخلصاً والدين مفعول به • (ألا لله الدين الخالص) كلام مستأنف مقرر لما قبله وألا أداة تنبيه واستفتاح ولله خبر مقدم والدين مبتدأ مؤخر والخالص نعت •

(والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) والذين الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة اتخذوا صلة الموصول ومن دونه حال أو مفعول به ثان وأولياء مفعول به أول وجملة ما نعبدهم مفعول لقول محذوف هو خبر الذين أي يقولون وما نافية ونعبدهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر وليقربونا اللام للتعليل ويقربونا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل ونا مفعول به والى الله متعلقان بيقربونا وزلفى مصدر مؤكد على غير المصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى وأجاز أبو البقاء أن يعرب حالاً مؤكدة • (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) ان واسمها وجملة يحكم خبرها وأجاز بعضهم أن يكون قوله إن الله يحكم بينهم خبر الذين فيكون موضع القول المضمر نصباً على الحال أي قائلين ذلك ، وبينهم ظرف متعلق بيحكم وفيما متعلقان بيحكم أيضاً وهم مبتدأ وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون خبر هم والجملة الاسمية صلة ما • (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) إن واسمها وجملة لا يهدي خبرها وفاعل يهدي مستتر يعود على الله ومن مفعول به وهو مبتدأ وكاذب كفار خبران له والجملة الاسمية صلة من •

الفوائـد :

حروف التنبيه « ها » و « ألا » و « أما » والفرق بين « أما » و « ألا » أن « أما » للحال أو للماضي و « ألا » للاستقبال ، تقول : أما ان زيداً عاقل ، تريد أنه عاقل في الحال ولا تقول ألا ، وتقول ألا ان زيداً لا يخاف أي في المستقبل ولا تقول أما ، والفرق بينهما وبين « ها » أنهما لا يدخلان إلا أول الكلام على الجملة بخلاف « ها » فتدخل على الضمير وأسماء الإشارة وإن لم تكن في أول الكلام وتدخل « أما » على القسم و « ألا » كثيراً على النداء .

إذا تقرر هذا فهل تكون هنا للاستقبال مع أن كون الدين لله هو في كل زمان ؟ والجواب أن المراد هنا الاستقبال بالنسبة لمن يعتنقون الدين الخالص ، على أنهما يتعاوران أي تأتي « ألا » لمجرد الاستفتاح ولا يكون التنبيه مقصوداً .

لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

اللغـــة :

(يكور) : التكوير : اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه ـ كما يقول الزمخشري ـ :

١ ـ ان الليـــل والنهار خلفـــة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا فكأنما ألبسه ولف عليه كمـــا يلف اللباس عـــلى اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب :

تلوى الثنايا بحقويها حواشيه لي المــــلاء بأبواب التفاريج

والثنايا : العقبات والحقو الخصر والحواشي الجوانب والملاء جمع ملاءة وهي الجلباب والتفاريج جمـــع تفراج وهو الباب الصغير والثوب من الديباج ، وأسند اللي الى الثنايا لأنها سبب الالتواء ، شبه إحاطـــة جوانبه وتراكمه في جوانب العقبـــة بلي الجلباب في أبواب التفاريج •

٢ ـ ان كل منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار •

٣ ـ ان هذا يكر على هذا كروراً متتابعاً فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض •

الاعراب :

(لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء) لو حرف شرط غير جازم وأراد فعل ماض والله فاعل وأن ومافي حيزها

مفعول أراد واللام رابطة لجواب لو واصطفى فعل ماض وفاعله هو أي الله تعالى والجملة لامحل لها ومما متعلق باصطفى وجملة يخلق صلة ما وما مفعول به وجملة يشاء صلة ما والعائد محذوف أي يشاؤه (سبحانه هو الله الواحد القهار) سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف تنزيه له تعالى عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه ، وهو مبتدأ والله خبره والواحد القهار نعتان لله . (خلق السموات والأرض بالحق) خلق فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى والسموات مفعول به والأرض عطف على السموات وبالحق حال . (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) الجملة حالية أو مستأنفة مبينة لكيفية تصرفه في السموات والأرض ، والليل مفعول به وعلى النهار متعلقان بيكور ويكور النهار على الليل عطف على مثيلتها .

(وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وسخر الشمس والقمر عطف على خلق السموات والأرض وكل مبتدأ وجملة يجري خبر ولأجل متعلقان بيجري ومسمى نعت لأجل وألا أداة تنبيه تصدرت الجملة لإظهار مدى الاهتمام بها ، والاعتناء بفحواها وهو مبتدأ والعزيز الغفار خبران لهو . (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) خلقكم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم وواحدة نعت لنفس والمراد بها آدم ثم حرف للترتيب والتراخي وسيأتي سر العطف بها في باب البلاغة وجعل فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى ومنها متعلقان بجعل لأنه بمعنى خلق وزوجها مفعول به . (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) وأنزل عطف على خلقكم ولكم متعلقان

بمحذوف حال ومن الأنعام متعلقان بأنزل وثمانية أزواج مفعول به وقد تقدم معنى الزوجين في سورة الأنعام .

(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) الجملة حالية أو استئنافية مبينة لكيفية خلق ما ذكر ، ويخلقكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وفي بطون أمهاتكم متعلقان بيخلقكم وخلقا مفعول مطلق ومن بعد خلق صفة له ويجوز أن يتعلق بيخلقكم فيكون المصدر لمجرد التأكيد ، قال البيضاوي : « أي حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ، وفي ظلمات متعلقان بخلق المجرور الذي قبله ولا يجوز تعلقه بخلقاً المنصوب لأنه مصدر مؤكد فلا يعمل ولا بيخلق لأنه تعلق به جار مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى إلا بالبدلية والعطف فإن جعلت فيظلمات بدلاً من في بطون أمهاتكم بدل اشتمال لأن البطون مشتملة عليها ويكون بدلاً بإعادة العامل جاز ذلك وسيأتي المراد بالظلمات الثلاث في باب الفوائد . (ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون) ذلكم مبتدأ والله خبره الأول وربكم خبره الثاني وله خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر ثالث وجملة لا إله إلا هو خبر رابع وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً ، فأنى الفاء استئنافية وأنى اسم استفهام متعلق بمحذوف حال وتصرفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغة :

في قوله « ثم جعل منها زوجها » عطف « ثم » التي تفيد الترتيب مع التراخي في الوجود ، وظاهر الأمر يتنافى مع ذلك لأن خلق

حواء من آدم سابق على خلقنا منه ، وقد استشكل علماء البيان والمفسرون هذا العطف وأجابوا بأجوبة نوردها ثم نرجح ما هو أقرب إلى الرجحان ، قال الزمخشري : « فإن قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي ؟ قلت : هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته وتشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصرياه (والقصريان ضلعان يليان الترقوتين) إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها عادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيري رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود » .

وقال غيره : « المعطوف متعلق بمعنى واحدة فثم عاطفة عليه لا على خلقكم فمعناه خلقكم من نفس واحدة أفردت بالإيجاد ثم شفعت بزوج فكانت ها هنا على بابها لتراخي الوجود » .

ونرى أن كلا الوجهين مستقيم ويصح حمل العطف عليه .

وهنا وقع ابن هشام في خطأ التلاوة فأورد هذه الآية بلفظ « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » الخ ... وقد أوردها شاهداً على أن قوماً خالفوا في معناها وهو الترتيب تمسكاً بها قال : « والجواب عن الآية من خمسة أوجه : (أحدها) أن العطف على محذوف أي من نفس واحدة أنشأها ثم جعل منها زوجها . (الثاني) ان العطف على واحدة على تأويلها بالفعل أي من نفس توحدت أي انفردت ثم جعل

منها زوجها • (الثالث) ان الذرية أخرجت من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام كالذر ثم خلقت حواء من قصيراه • (الرابع) ان خلق حواء من آدم لما لم تجر عـادة بمثله جيء بثم إيذاناً بترتبه وتراخيـه في الإعجاب وظهور القدرة لا لترتيب الزمن وتراخيه • (الخامس) ان ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم وانه يقال بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي ثم أخبرك أن الذي صنعته أمس أعجب•

الفوائـد :

أراد بقوله « في ظلمات ثلاث » ظلمـة البطن ، وظلمة الرحم بفتح الراء وكسر الحاء ، والرحم بكسر الراء وسكون الحاء مؤنثة وهي مستودع الجنين في أحشاء الحبلى ، وظلمة المشيمة وهي كما في المصباح « وزان كريمة وأصلها مفعلة بسكون الفاء وكسر العين لكن ثقلت الكسرة عـلى الياء فنقلت الى الشين وهي غشاء ولد الانسان • وقـال ابن الأعرابي : يقـال لما يكون فيه الولـد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحـذف الهاء ومشايم مثل معيشة ومعايش ويقال لها من غيره السلا » •

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

* وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ

نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ج
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

الاعراب :

(إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم) إن حرف شرط جازم وتكفروا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والفاء رابطة وإن واسمها وخبرها والجملة جواب الشرط وعنكم متعلقان بغني وان تشكروا عطف على أن تكفروا ويرضه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به بضم وسكونها وباشباع ودونه • (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) الواو حرف عطف ولا نافية وتزر فعل مضارع مرفوع ووازرة فاعل ووزر مفعول به أي لا تحمل نفس وزر نفس أخرى وأخرى مضاف اليه على حذف منعوت أي نفس أخرى ثم حرف عطف للتراخي والى ربكم خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر والفاء حرف عطف وينبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبما متعلقان بينبئكم وكنتم كان واسمها وجملة تعملون خبرها وجملة كنتم تعملون صلة الموصول (إنه عليم بذات الصدور) إن واسمها وخبرها وبذات الصدور متعلقان بعليم والجملة تعليل للتنبئة بالاعمال •

(وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ومسّ فعل ماض مبني على الفتح والانسان مفعول به مقدم وضر مبتدأ مؤخر والمراد بالضر جميع المكاره وجملة دعا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربه مفعول به ومنيباً حالٌ واليه متعلقان بمنيباً . (ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل) ثم حرف عطف للتراخي وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة خوله في محل جر بإضافة الظرف اليها وخوله فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والهاء مفعوله الأول ونعمة مفعوله الثاني ومنه صفة لنعمة ولك أن تعلقه بخوّله وجملة نسي لا محل لها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الانسان وما مفعول به وجملة كان صلة ما واسم كان مستتر يعود على الانسان وجملة يدعو خبر كان وإليه متعلقان بيدعو ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ويجوز في ما أن تكون مصدرية أي نسي كونه داعياً .

(وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله) وجعل عطف على نسي وفاعله مستتر يعود على الإنسان ولله متعلقان بمحذوف هو مفعول جعل الثاني وأنداداً مفعول جعل الأول وليضل اللام للتعليل ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وقيل اللام للعاقبة وهي تتمشى مع قراءة يضل بفتح اللام وهما قراءتان سبعيتان وعن سبيله متعلقان بيضل . (قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وتمتع فعل أمر أيضاً وفاعل مستتر والجملة مقول القول والمقصود بالأمر التهديد وبكفرك متعلقان بتمتع وقليلاً ظرف زمان أو مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف وجملة إنك من أصحاب النار تعليل للأمر بالتمتع وإن واسمها ومن أصحاب النار خبرها .

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

اللغــــة :

(قانت) : قائم بوجائب الطاعات ووظائفها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصلاة طول القنوت » وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائماً وفي القاموس : « القنوت : الطاعة والسكوت والدعاء والقيام في الصلاة والإمساك عن الكلام وأقنت دعا على عدوه وأطال القيام في صلاته وأدام الحج وأطال الغزو وتواضع لله تعالى وامرأة قنيت بينة القناتة قليلة الطعـم وسقاء قنيت مسّيك » وقـول القاموس مسيك بكسر الميـم وسكون السين أي يمسك الماء •

(آناء) : جمـع إنى بكسر الهمزة والقصر كمعي بكسر الميم والقصر والجمع أمعاء وفي المصباح : « الآناء على أفعال هي الأوقات وفي واحـدها لغتان : إني بكسر الهمزة والقصر وإني بوزن حمل » وفي المختار : « وآناء الليل : ساعاته قال الأخفش واحدها إنى مثل معى وقيل واحدها إني وإنو يقال مضى من الليل أنيان وأنوان » •

الاعراب :

(أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أم يجوز أن تكون متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير أم الذي هو قانت وقد دخلت على من الموصولة فأدغمت الميم في الميم ، أو منقطعة فتقدر ببل والهمزة أي بل أمن هو قانت كغيره ؟ وقرىء بالتخفيف فالهمزة للاستفهام الانكاري، وعلى كل فمن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف كما تقدم وهو مبتدأ وقانت خبره والجملة صلة من وآناء الليل ظرف متعلق بقانت وساجداً حال وقائماً عطف عليه وجملة يحذر الآخرة حال ثالثة وجملة يرجو رحمة ربه عطف على جملة يحذر الآخرة .

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) هل حرف استفهام معناه الانكار ويستوي الذين فعل مضارع وفاعل وجملة يعلمون صلة والذين لا يعلمون عطف على الذين يعلمون ، وفي هذه الآية تنزيل المتعدي منزلة القاصر ولا يقدر المفعول في قوله يعلمون لأن المقدر كالموجود أي هل يستوي من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له والاستفهام إنكاري أي لا يستويان لأن المقصود بيان ثبوت الفعل للفاعل لا بيان وقوعه على المفعول وإيضاح الفرق بين المنزل وغيره أن قولك فلان يعطي لبيان كونه معطياً فيكون كلاماً مع من جهل أصل الإعطاء وقولك فلان يعطي الدنانير لبيان جنس ما يتناوله الإعطاء لا لبيان كونه معطياً ويكون كلاماً مع من ثبت له أصل الاعطاء لا مع من جهل اعطاءه . (إنما يتذكر أولو الألباب) إنما كافة ومكفوفة

ويتذكر فعل مضارع مرفوع وأولو الألباب فاعل والجملة مستأنفة مسوقة لبيان عدم تأثير ما تقدم من قوارع وزواجر في قلوبهم لاختلال عقولهم .

(قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) يا حرف نداء وعبادي منادى مضاف والذين صفة لعبادي وجملة آمنوا صلة الذين والجملة مقول القول واتقوا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به . (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة) للذين خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة وفي هذه متعلقان بأحسنوا والدنيا بدل من اسم الاشارة وحسنة مبتدأ مؤخر وأرض الله مبتدأ وواسعة خبر . (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الجملة تعليل لما تقدم ترغيباً في الصبر وإنما كافة ومكفوفة والصابرون نائب فاعل وأجرهم مفعول به ثان وبغير حساب حال من الأجر .

ولو لم يكن في الصبر إلا ما جاء في هذه الآية لكان في ذلك كفاية وفي الحديث : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » وقيل لعلي بن أبي طالب : أي شيء أقرب الى الكفر ؟ قال ذو فاقة لا صبر له ، ومن كلامهم : « الصبر مرّ لا يتجرعه إلا حر » وكان عبد الله بن المقفع يقول : « إذا نزل بك أمر مهم فانظر فإن كان لك فيه حيلة فلا تعجز ، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع » وما أحسن قوله : تعجز وتجزع وهذا الذي يسمى قلب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس .

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾

الاعراب :

(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) إن واسمها وجملة أمرت خبرها والجملة مقول القول وأمرت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض المتعلق بأمرت ومخلصاً حال وله متعلقان بمخلصاً والدين مفعول به . (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) وأمرت عطف على أمرت الأولى ولأن أكون متعلقان بأمرت أي بأن أكون فاللام بمعنى الباء واسم

أكون مستتر تقديره أنا وقيل اللام للتعليل أي لأجل أن أكون وللزمخشري تقرير مطول بهذا الصدد ننقله في باب الفوائد لأهميته وأول خبر أكون والمسلمين مضاف اليه . (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) إن واسمها وجملة أخاف خبر وفاعل أخاف مستتر تقديره أنا وإن شرطية وعصيت فعل وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فإني أخاف وعذاب يوم مفعول أخاف وعظيم صفة ليوم .

(قل الله أعبد مخلصاً له ديني) لفظ الجلالة مفعول مقدم لأعبد وأعبد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ومخلصاً حال وله متعلقان بمخلصاً وديني مفعول مخلصاً أي ليكون سالماً من الشرك والرياء وكل ما يشوب الأعمال مما يفسدها . (فاعبدوا ما شئتم من دونه) الفاء الفصيحة واعبدوا فعل أمر الغاية منه التهديد والوعيد والواو فاعل وما مفعول به وجملة شئتم صلة ومن دونه حال . (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) إن واسمها والذين خبرها وجملة خسروا صلة الذين وأنفسهم مفعول به وأهليهم عطف على أنفسهم ويوم القيامة ظرف لخسروا أو حال من أهليهم يعني أزواجهم وخدمهم . (ألا ذلك هو الخسران المبين) ألا أداة تنبيه وذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والخسران خبر هو والجملة خبر ذلك والمبين صفة للخسران ولك أن تجعل هو ضمير فصل لا محل له وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة .

(لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) لهم خبر مقدم ومن فوقهم حال وظلل مبتدأ مؤخر وفي الكلام إبهام سيأتي تقريره في

باب البلاغة ومن النار صفة لظلل ومن تحتهم ظلل عطف على من فوقهم ظلل • (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) ذلك مبتدأ أي ذلك العذاب وجملة يخوف الله به خبر وعباده مفعول يخوف ويا حرف نداء وعباد منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف والفاء الفصيحة واتقون فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية وياء المتكلم المحذوفة لما تقدم مفعول به • (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى) الذين مبتدأ وجملة اجتنبوا صلة والطاغوت مفعول به وقد تقدم القول فيه وأنه يطلق على الواحد والجمع وعلى المذكر والمؤنث وأن يعبدوها مصدر مؤول في محل نصب بدل اشتمال من الطاغوت أي عبادتها وسيأتي مزيد من القول في الطاغوت في باب البلاغة ولهم خبر مقدم والبشرى مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين •

(فبشر عبادِ) الفاء الفصيحة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعباد مفعول به وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف وفيه إظهار الضمير أي فبشرهم اهتماماً بهم • (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين صفة لعباد وجملة يستمعون صلة والقول مفعول به والفاء عاطفة ويتبعون عطف على يستمعون وأحسنه مفعول به • (أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولو الألباب) أولئك مبتدأ والذين خبر والاشارة الى الموصوفين بما ذكر وجملة هداهم الله صلة وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل وأولو الألباب خبر هم والجملة خبر أولئك أو خبر أولئك •

البلاغـة :

١ ــ التهويل :

في قوله « ألا ذلك هو الخسران المبين » تهويل رائع فقد جعل الجملة مستأنفة وصدرها بحرف التنبيه ووسط ضمـير الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران كأنه مما تعورف أمره واشتهر هوله ووصفه بالمبين فجعل خسرانهم غاية في الفظاعة ونهاية في الشناعة .

٢ ــ المبالغة :

وفي تشبيه الشيطان بالطاغوت وجوه ثلاثة من المبالغة :

١ ــ تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان .

٢ ــ بناؤه عـلى فعلوت وهي صيغة مبالغة كالرحموت وهي الرحمة الواسعة والملكوت وهو الملك الواسع .

٣ ــ والشبه الثالث تقديم لامه على عينه ليفيد اختصاصه بهذه التسمية .

الفوائـد :

وعدناك بنقل الفصل الممتع الذي عقده الزمخشري في إعراب قوله « إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون من المسلمين » قال : « فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما

واحـد ؟ قلت : ليسا بواحـد لاختلاف جهتيهمـا وذلك أن الأمر بالاخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء ، وإذا اختلف وجهـا الشيء ومنعتا ينزل بذلك منزلة شيئـين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولاتزاد إلا مـع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنهـا زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه ، كما عوض السين في اسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع ، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنـين أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه : أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم الى الاسلام إسلاماً وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولوية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب » فتأمله فإنه من غرر الأقوال .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

اللغـــة :

(ينابيع) : في المختار : « نبع الماء : خرج وبابه قطع ودخل ونبع ينبع بالكسر نبعاناً بفتح الباء لغة أيضاً والينبوع عين الماء ومنه قوله تعالى « حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » والجمع الينابيع » فما يقوله العامة وهو « نبع » مولّد غير معروف وإنما النبع مصدر وشجر تتخذ منه السهام والقسي يقال : قرعوا النبع بالنبع أي تلاقوا وتطاعنوا وما رأيت أصلب منه نبعاً أي أشد منه .

(يهيج) : ييبس ويتم خفافه لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب وفي المختار : « وهاج النبت يهيج هياجاً بالكسر يبس » وفي المصباح : « وهاج البقل يهيج اصفر » .

(حطاماً) : فتاتاً وفي المصباح « حطم الشيء حطماً من باب تعب فهو حطم إذا تكسر ويقال للدابة إذا أسنت حطمة ويتعدى بالحركة يقال حطمته حطماً من باب ضرب فانحطم وحطمته بالتشديد مبالغة » .

الاعراب :

(أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء حرف عطف على محذوف يدل عليه السياق والتقدير أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه ، ومن شرطية أو موصولة في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف فقدره

أبو البقاء كمن نجا وقدره الزمخشري فأنت مخلصه حـذف لدلالة أفأنت تنقذه وقدره غيره تتأسف عليه ، والهمـزة الثانية للاستفهام وأعيدت لتأكيد الإنكار والفاء رابطة وأنت مبتدأ وجملة تنقذ خبر ومن في النار مفعول به وقد أوقـع الظاهر موقع المضمر وهو من في النار وكأن الأصل أفأنت تنقذه ، وأنت مبتدأ وجملة تنقذ خبر ومن في النار مفعوله فالآية على هذا جملة واحدة، واعترض بجمع الاستفهام والشرط ولا مساغ لهـذا الاعتراض لأن أداة الاستفهام داخله على جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط ولم تدخل على جملة الشرط وسيأتي مزيد من القول في هـذه الآية في باب البلاغة • (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار) لكن حرف عطف واضـراب بمعنى بل وليست للاستدراك لأنه لـم يسبقها نفي فالكلام اضراب عن موضوع الى موضوع مغاير للأول ، والذين مبتـدأ وجملة اتقوا صلة وربهم مفعول به ولهم خبر مقدم وغرف مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين ومبنية صفة لغرف أي بنيت بناء المنازل وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة ثانية أو حال من غرف •

(وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعـد الله مصدر مؤكد لفعل محذوف دل عليه قوله لهم غرف لأنه في معنى وعدهم الله ذلك ولا نافية ويخلف الله الميعاد فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) كلام مستأنف مسوق لتمثيل الحياة الدنيا وسرعة زوالها والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعـل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه

حـذف حرف العلة والفاعـل مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر أو مفعولها لأنها قلبية أو بصرية وان واسمها وجملة أنزل خبرها ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به ، فسلكه الفاء عاطفة وسلك فعل ماض منبي على الفتح وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى ، وينابيع ان اكان بمعنى المنبع ظرف للمصدر المحـذوف أي سلكه سلوكاً في ينابيع فلما أقيم مقام المصدر جعـل انتصابه عـلى المصدر ، وإن كان بمعنى النابع كان انتصابه على الحال أي نابعات ، واعترض الشهاب الخفاجي على الحالية فقال « الحالية لا تخلو من الكدر لأن حقه حينئذ أن يقال من الأرض وفي الأرض على الوجهين صفة لينابيع ، قلت : ولا أرى مانعاً من نصب ينابيع على التمييز على حد قوله « وفجرنا الأرض عيوناً » ولم يذكره أي واحد ممن تصدوا لإعراب القرآن ، ومنطوق كلام الزمخشري يؤيد هـذا الاعراب قـال : « عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجسام » وأحجم الكثيرون عن إعراب ينابيع لدقتها ، وفي الشوكاني : « فسلكه ينابيع في الأرض : أي فأدخله وأسكنه فيها ، والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع ، والينبوع عين الماء والأمكنة التي ينبع فيها الماء فهو على الوجـه الثاني منصوباً بنزع الخافض ، قال مقاتل : فجعله عيوناً وركايا في الأرض »

(ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ويخرج فعـل مضارع والعدول إليه عن الماضي كما يقتضيه أسلوب العطف لاستحضار الصورة وبه متعلقان بيخرج وزرعاً مفعول به ومختلفاً نعت لزرعاً وألوانه فاعل لمختلف . (ثم يهيج فتراه مصفراً) ثم يهيج عطف على ثم يخرج فتراه الفاء حرف عطف والهاء مفعول به

ومصفراً حال لأن الرؤية بصرية. (ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) عطف على ما تقدم ويجعله حطاماً فعل مضارع وفاعل مستتر والهاء مفعول به أول وحطاماً مفعول به ثان وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وذكرى اسمها المؤخر ولأولي الألباب صفة لذكرى أو متعلقان بنفس الذكرى لأنها بمعنى التذكرة .

البلاغـة :

في قوله « أفأنت تنقذ من في النار » مجاز مرسل علاقته السببية فقد أطلق السبب وأراد المسبب والمعنى أفأنت تهديه بدعائك له الى الايمان فتنقذه من النار .

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٢٢) ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٢٣)

اللغـــة :

(تقشعر) : اقشعر جلده : ارتعد وتقبّض وتخشن وتغير لونه فهو مقشعر ، واقشعرت السنة : أمحلت وأجدبت، واقشعرت الأرض:

تقبضت وتجمعت إذا لم ينزل عليها المطر ، ويقال اقشعر الشَعر أي قام وانتصب من فزع أو برد والمصدر الاقشعرار وقال الزمخشري : « اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموماً اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً دالاً على معنى زائد ، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المادة في باب البلاغة.

الاعراب :

(أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) كلام مستأنف مسوق ليجري مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على جملة مقدرة أي أكل الناس سواء ومن موصولة أو شرطية في محل رفع مبتدأ فعلى الأول يكون خبرها محذوفاً تقديره كمن طبع على قلبه وعلى الثاني يكون خبرها فعل الشرط وجوابه معاً والفاء عاطفة على كل حال وهو مبتدأ وعلى نور خبر ومن ربه صفة لنور . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) الفاء رابطة وويل مبتدأ وساغ الابتداء لما فيها من معنى الدعاء بالعذاب والخسران وللقاسية خبر وقلوبهم فاعل للقاسية ومن ذكر الله متعلقان بالقاسية ومن إما للتعليل أي من أجل ذكره وقيل من بمعنى عن والمعنى غلظت عن قبول الذكر وأولئك مبتدأ وفي ضلال مبين خبره . (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني) لفظ الجلالة مبتدأ ، وسيأتي سر التقديم في باب البلاغة ، وجملة نزل أحسن الحديث خبر وكتاباً بدل من أحسن الحديث ويجوز أن يكون حالاً منه أي قرآناً متشابهاً ومتشابهاً

نعت أول ومثاني نعت ثان ، وقد مرّ معنى هذه الكلمة وسيأتي مزيد من النكت البلاغية في باب البلاغة .

(تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) جملة تقشعر نعت ثالث ومنه متعلقان بتقشعر وجلود الذين يخشون ربهم صلة وثم حرف عطف للتراخي وتلين جلودهم فعل مضارع وفاعل وقلوبهم عطف على جلودهم والى ذكر الله متعلقان بتلين لأنه متضمن معنى تسكن وتطمئن الى ذكر الله . (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) ذلك مبتدأ وهدى الله خبر أو بدل من اسم الاشارة وجملة يهدي إما حال أو خبر وبه متعلقان بيهدي ومن يشاء مفعول به وجملة يشاء صلة والاشارة الى الكتاب فالجملة حال منه . (ومن يضلل الله فما له من هاد) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم ليضلل والله فاعل والفاء رابطة وما نافية أو نافية حجازية وله خبر أو خبر هاد المقدم ومن حرف جر زائد وهاد مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً أو اسم ما مجرور لفظاً وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين .

البلاغة :

١ ــ في قوله « مثاني » :

وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ، ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وأقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ، ونظيره قولك الانسان عظام وعروق وأعصاب ،

وأجاز الزمخشري وجهاً لطيفاً آخر قال : « ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منصوباً على التمييز من متشابهاً كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثانيه » .

٢ ـ فائدة التكرير :

وفائدة التثنية والتكرير ترسيخ الكلام في الذهن فإن النفوس تملّ عادة من الوعظ والتنبيه وتسأم النصيحة بادىء الأمر ، ففي تكرير النصح والموعظة تعويد لها على استساغة ذلك والعمل به وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرر عليهم ما يعظ وينصح به ثلاثاً وسبعاً أحياناً ليركز ذلك في نفوسهم والمعلم النابه لا يفتأ يردد ما يلقيه على طلابه من دروس حتى يصبح مستساغاً اليهم هشاً في نفوسهم بعد أن كان صعباً ممجوجاً .

٣ ـ التجسيد الحي :

وفي قوله « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » نكت بلاغية بديعة وأهمها التجسيد الحي ، أراد سبحانه أن يجسد فرط خشيتهم فعرض عليك صورة من الجلد اليابس وصورة من الشعر الواقف ، ألا تقول : وقف شعر رأسه من الخوف ، وفي ذكر الجلود وحدها أولاً وقرنها بالقلوب ثانياً لأن ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم وتخشى قلوبهم في أول الأمر فإذا ذكروا الله وذكروا رحمته وسعتها استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم . وقيل المعنى أن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة

فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه إعظاماً له وتعجباً من حسنه وبلاغته ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله .

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)

الاعراب :

(أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) الهمزة للاستئناف الإنكاري والفاء عاطفة على جملة مقدرة تفهم من مضمون السياق أي أكل الناس سواء فمن يتقي ، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة يتقي بوجهه صلة وسوء العذاب مفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق بيتقي وخبر من محذوف تقديره كمن أمن من العذاب وسيأتي معنى الاتقاء بالوجه في باب البلاغة . **(وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)** وقيل عطف على يتقي أي ويقال لهم ذوقوا وإنما عدل إلى الماضي للدلالة على تحقق وقوع القول ويجوز أن تكون الواو حالية والجملة في محل نصب على الحال من ضمير يتقي وللظالمين متعلقان بقيل وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم وجملة

ذوقوا مقول القول وما مفعول ذوقوا وكنتم تكسبون كان واسمها وخبرها والجملة صلة ما.(كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أصاب الكافرين من قبلهم من عذاب دنيوي ، وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الذين ، فأتاهم العذاب عطف على ما تقدم وأتاهم فعل ومفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر ومن حيث متعلقان بأتاهم وجملة لا يشعرون في محل جر بإضافة الظرف اليها .

(فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا) الفاء عاطفة وأذاقهم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والخزي مفعول به ثان وفي الحياة الدنيا متعلقان بأذاقهم أو بمحذوف حال . (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) الواو عاطفة واللام لام الابتداء وعذاب الآخرة مبتدأ وأكبر خبر ولو شرطية وكان واسمها وجملة يعلمون خبرها وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله ومفعول يعلمون محذوف أيضاً تقديره عذابها . (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وضربنا فعل وفاعل وللناس متعلقان بضربنا على أنه مفعول به ثان لأن ضرب متضمن معنى جعل وفي هذا القرآن حال ومن كل مثل نعت لمفعول ضربنا الأول أي مثلاً كائناً من كل مثل ولعل واسمها وجملة يتذكرون خبرها . (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) قرآناً حال موطئة لأنها ذكرت توطئة للنعت بالمشتق بينما هي جامدة وهي حال من القرآن والاعتماد فيها على الصفة وقال اللقاني : « قرآناً مصدر بمعنى القراءة فهي مؤولة بمقروءاً عربياً فهو مصدر والمصدر الحال يؤول بمشتق » وقال الصفاقسي : « قيل الحال قرآناً وعربياً توطئة ومعنى التوطئة أن الاسم

الجامد لما وصف بما يجوز أن يكون حالاً صلح أن يكون حالاً » وعلى هذا تضبط موطأة بفتح الطاء وقال السمين : « الثالث أن ينتصب على الحال من القرآن على أنها حال مؤكدة وتسمى حالاً موطئة لأن الحال في الحقيقة عربياً وقرآناً توطئة له نحو جاء زيد رجلاً صالحاً » وهكذا قرر الزمخشري . وأجاز الزمخشري وغيره أن ينتصب قرآناً على المدح لأنه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن وأجاز أبو البقاء أن ينتصب بيتذكرون .

وغير ذي عوج نعت ثان لقرآناً وسيأتي معناه في باب البلاغة ولعلهم يتقون لعل واسمها وجملة يتقون خبرها .

البلاغة :

١ ـ الكناية أو المجاز التمثيلي :

في قوله « أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب » كناية عن عدم الاتقاء لأن الوجه لا يتقى به وأما الذي يتقى به فهما اليدان وهما مغلولتان ولو لم يغلا لكان يدفع بهما عن الوجه لأنه أعز أعضائه وقيل هو مجاز تمثيلي لأن الملقى في النار لم يقصد الاتقاء بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقي به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي وهو جميل أيضاً . قال النابغة :

سقط النصيف ولم تردوا اسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

٢ ـ معنى العوج :

تقدم معنى العوج في الكهف وأن العوج بالكسر مختص بالمعاني دون الأعيان والسر فيه ، فارجع إليه هناك وقيل المراد بالعوج الشك واللبس ، قال :

وقد أتاك يقين غير ذي عوج

من الإله وقول غير مكذوب

وعلى كل حال ففي الكلام استعارة تصريحية .

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

اللغة :

(متشاكسون) : متنازعون مختلفون قال الزمخشري : « والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول : تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه » وفي المختار : « رجل شكس بوزن فلس أي صعب الخلق وقوم شكس بوزن قفل وبابه سلم وحكى الفراء شكس

بكسر الكاف وهو القياس قلت : وقوله تعالى : فيه شركاء متشاكسون أي مختلفون عسرو الأخلاق » وفي الصحاح: « رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق وقوم شكس مثل رجل صدق وقوم صدق وقد شكس بالكسر من باب سلم شكاسة وحكى الفراء : رجل شكس بكسر الكاف وهو القياس » .

وللشين والسين إذا كانتا فاء ولاماً للكلمة خاصة الصلابة والامتناع وسوء الخلق : يقال شئس كفرح أي صلب فهو شئس وشأس ، والشحس بالفتح شجر مثل العتم إلا أنه أطول ولا تتخذ منه القسي ليبسه ، والشخس الاضطراب والاختلاف وقد تقدم ، والشرس محركة سوء الخلق وشدة الخلاف كالشراسة والأشرس الجريء في القتال والأسد وهذا جمل لم يشرس أي لم يرض ، والشسس الأرض الصلبة كأنها حجر واحد ، والشطس : الدهاء والعلم به والشُّطسي كجمحيّ الرجل المنكر المارد الداهية ، والشمس معروفة وليس هنالك أمنع منها وشمس الفرس شموساً وشِماساً منع ظهره فهو شامس وشموس والشموس الخمر لأنه تجعل شاربها شموساً ، والشَّوَس محركة : النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً كالتشاوس . وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة .

(سَلَماً) : مصدر سلم وقرىء سالماً على أنه اسم فاعل أي خالصاً .

الاعراب :

(ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً) كلام مستأنف مسوق لتمثيل من يعبد آلهة

كثيرة ومن يعبد إلها واحداً • وضرب الله فعل وفاعل ومثلاً مفعول به ورجلاً بدل من مثلاً وقد تقدم إعراب نظيره، وقال الكسائي: انتصب رجلاً على إسقاط الخافض أي مثلاً في رجل • وفيه خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة رجلاً ومتشاكسون نعت لشركاء ورجلاً عطف على رجلاً وسلماً نعت بالمصدر على سبيل المبالغة ولرجل متعلقان بالمصدر وهو حرف استفهام ويستويان فعل مضارع وفاعل ومثلاً تمييز محول عن الفاعل أي لا يستوي مثلهما وأفرد التمييز لاقتصاره عليه في الأول وقرىء مثلين لمطابقة حالي الرجلين • (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الحمد مبتدأ ولله خبر والجملة الاسمية معترضة لأن قوله بل أكثرهم لا يعلمون اضراب انتقالي مرتبط بقوله هل يستويان وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر •

(إنك ميت وإنهم ميتون) جملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم فقد كانوا يتربصون موته ويستبطئونه فأخبر الله تعالى أن الموت يعمهم جميعاً فلا معنى للتربص والاستبطاء ولا مبرر لشماتة فان بفانٍ ، وإنك ميت إن واسمها وخبرها وإنهم ميتون عطف على ما تقدم وسيأتي مزيد من الكلام على هذه الآية في باب البلاغة • (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وان واسمها ويوم القيامة ظرف متعلق بيختصمون وعند ربكم ظرف متعلق بمحذوف حال وسيأتي معنى الاختصام في باب الفوائد • (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه) الفاء عاطفة ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ومعناه النفي أي لا أحد وممن متعلقان بأظلم وجملة كذب على الله صلة من وكذب بالصدق عطف على كذب على الله وإذ جاءه ظرف متعلق لكذب بالصدق أي كذب بالقرآن وقت مجيئه وجملة جاءه في محل جر بإضافة الظرف اليها •

(أليس في جهنم مثوى للكافرين) الهمزة للاستفهام التقريري وليس فعل ماض ناقص وفي جهنم خبرها المقدم ومثوى اسمها المؤخر وللكافرين صفة لمثوى أو بنفس مثوى لأنه اسم مكان من ثوى أي أقـــام .

البلاغــة :

١ ــ فن المثل :

في قوله « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء » الآية فن إرسال المثل فقد شبه حال من يعبد آلهة شتى بمملوك اشترك فيه شركاء شجر بينهم خلاف شديد وخصام مبين وهم يتجاذبونه ويتعاورونه في شتى آرائهم ومتباين أهوائهــم فهو يقف متحــيراً لا يدري لأيهم ينحاز ولأيّهم ينصاع وأيهم أجدر بأن يطيعه وحال من يعبد إلهاً واحداً فهو متوفر على خدمته يلبي كل حاجاته ويصيخ سمعاً لكل ما ينتدبه إليه ويطلبه منه .

٢ ــ الفرق بين ميْت وميّت :

قال الفراء : « الميت بالتشديد من لــم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح » ولذلك لم يخفف في الآية لأنه لمّا يمت ولمّا يموتوا بالنسبة لنزول الآية ، وقال الزمخشري : « والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصيغة حادثة تقول زيد مائت غداً كما تقول سائد غداً أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت

والمعنى في قوله : إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأنّ ما هو كائن فكأن قد مات » .

الفوائـد :

وهذه نبذة لا مندوحة عن إيرادها في معنى الاختصام : فقد جاء عن عبد الله بن الزبير قال : لما نزلت : ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكون علينا الخصومة ؟ بعد الذي بيننا في الدنيا قال نعم فقال : إن الأمر إذن لشديد » أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هـذه الآية نزلت في أهل الكتابين : ثم انكم يوم القيامـة عند ربكم تختصمون قلنا : كيف نختصم وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة ؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا : نعم هذا هو .

وعن أبي بكرة قال : « قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قال القسطلاني في شرحه : أي فضرب كل واحد منهما الآخر إذا كان قتالهما بلا تأويل، بل على عداوة دنيوية أو طلب ملك مثلاً فأما من قاتل أهل البغي أو دفع الصائل فقتل فلا،أما إذا كانا صحابيين فأمرهما عن اجتهاد لإصلاح الدين وفيه أن من عزم على المعصية أثم وإن لم يفعلها . وفي رواية إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً قال : فقلنا أو قيل يا رسول الله هـذا القاتل فما بال المقتول ؟ قـال : إنه أراد قتل صاحبه ، رواه البخاري ومسلم ، قال العلماء : معنى كونهما في النار أنهما يستحقان ذلك ولكن

أمرهما الى الله تعالى إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين وإن شاء عفا عنهما فلم يعاقبهما أصلاً وقيل : هو محمول على من استحل ذلك ، وذهب جمهور الصحابة والتابعين الى وجوب نصر الحق وقتال الباغين واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطىء في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وان المصيب يؤجر أجرين وجعل هؤلاء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب الملك .

وقد أخرج البزّار في حديث « القاتل والمقتول في النار » زيادة تبين المراد وهي : « إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار » ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ : « لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل ؟ ولا المقتول فيم قتل ؟ فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : الهرج : القاتل والمقتول في النار » هذا والكلام في هذا الباب طويل يرجع فيه الى المطولات لأنه خارج عن نطاق هذا الكتاب .

وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ

فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

الاعراب :

(والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) الواو استئنافية والذي مبتدأ وجملة جاء بالصدق صلة وصدق عطف على الصلة والذي جنس المراد به بالنسبة للصلة الأولى محمد وبالنسبة للصلة الثانية المؤمنون ولذلك روعي معنى الذي في أولئك هم المتقون، وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر أولئك والجملة الاسمية خبر الذي ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن مسعود « والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به » . (لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) لهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وجملة يشاءون صلة وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال والجملة خبر ثان للذي وذلك مبتدأ وجزاء المحسنين خبر والجملة نصب على الحال . (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) اللام للتعليل ويكفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل ومجرورها متعلقان بمحذوف أي يسر لهم ذلك ليكفروا ولك أن تعلق اللام ومدخولها بالمحسنين فتكون للعاقبة أي فكانت عاقبتهم التكفير والله فاعل يكفر وعنهم

متعلقان بيكفر وأسوأ مفعول به والـذي مضاف إليه وجملة عملوا صلة وليس المراد هنا باسم التفضيل معناه على بابه وإنما هي من إضافة الشيء الى بعضه من غير تفضيل ومنه قولهم الأشج والناقص أعـدل بني مروان لأن اسم التفضيل لو كان عـلى بابه لاقتضى نظم الكلام انه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط وهذا غير مراد طبعاً •

(ويجزيهم أجرهـم بأحسن الذي كانوا يعملون) عطف على ماتقدم وأجرهم مفعول به ثان ليجزيهم وما قيل في معنى اسم التفضيل وهو أسوأ يقـال هنا في معنى اسم التفضيل وهو أحسن لأنه تعالى لايجزيهم على أفضل الحسنات فقط • (أليس الله بكاف عبده) الهمزة للاستفهام التقريري لأن همزة الانكار إذا دخلت على النفي أثبتته بطريق المبالغـة وليس واسمها والباء حرف جر زائد وكاف مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وعبده مفعول كاف والمراد به النبي أو الجنس عامـة ويؤيده قراءة حمـزة والكسائي : عبـاده • (ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد) لك في الواو أن تجعلها للحال فتكون الجملة حالية والمعنى أليس الله كافيك حال تخويفهم إياك هذا إذا أراد بالعبد نبيه صلى الله عليه وسلم ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتفنيد ما يعمدون إليـه من تخويف بالأصنام ، ويخوفونك فعـل مضارع ومفعول به وبالذين متعلقان بيخوفونك ومن دونه متعلقان بمحذوف هو الصلة ومـن يضلل الله فما له من هـاد تقدم إعرابهـا بنصها قريباً فجـدد به عهداً • (ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام) الجملة معطوفة على الجملة السابقة والإعراب متشابه والهمزة للاستفهام التقريري وليس واسمها وبعزيز الباء حرف جر زائد وعزيز مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وذي انتقام نعت •

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وسألتهم فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة خلق السموات والأرض خبر والجملة في محل نصب مفعول به ثان لسألتهم المعلقة عن العمل بالاستفهام واللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف وفقاً للقاعدة المشهورة ويقولن فعل مضارع معرب لعدم مباشرة نون التوكيد له وقد تقدمت له نظائر كثيرة والله خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله أو مبتدأ والخبر محذوف أي خلقها . (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله) الهمزة للاستفهام والفاء الفصيحة ورأيتم بمعنى أخبروني وقد تقدم القول فيها مفصلاً أكثر من مرة وما تدعون مفعول رأيتم الأول ومن دون الله حال ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة على مقدر أي أتفكرتم بعد ما أقررتم به فرأيتم ... (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) إن شرطية وأرادني الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وهو في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف وجملة الشرط اعتراضية والجملة الاستفهامية هل هن كاشفات مفعول رأيتم الثاني وهن مبتدأ وكاشفات ضره خبر .

(أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) عطف على الجملة السابقة وقرىء بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته على المفعولية لاسمي الفاعل . (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) حسبي الله مبتدأ وخبر أو بالعكس والجملة مقول القول وعليه متعلقان بيتوكل ويتوكل المتوكلون فعل مضارع وفاعل .

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

الاعراب :

(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة واعملوا فعل أمر وفاعل وعلى مكانتكم حال وسيأتي معنى الاستعارة هنا في باب البلاغة وإن واسمها وخبرها وفي الكلام حذف أي على مكانتي والفاء عاطفة وسوف حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل . (من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) من اسم موصول مفعول تعلمون والعلم هنا بمعنى المعرفة فينصب مفعولاً واحداً وجملة يأتيه صلة وعذاب فاعل يأتيه وجملة يخزيه صفة لعذاب ويحل عطف على يخزيه وعليه متعلقان بيحل وعذاب فاعل يحل ومقيم نعت أي دائم ثابت . (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق) إن واسمها وجملة أنزلنا خبرها وعليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به وللناس متعلقان بأنزلنا أي لأجلهم وبالحق حال أي متلبساً به فهو

من الفاعـل أو من المفعول • (فمن اهتـدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) الفاء عاطفة ومن اسم شرط جازم في محـل رفع مبتدأ واهتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة ولنفسه خبر لمبتدأ محذوف أي فهدايته لنفسه والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ وجملة ومن ضل فإنما يضل عليها عطف على نظيرتها •

(وما أنت عليهم بوكيل) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنت اسمها وعليهم متعلقان بوكيل والباء حرف جر زائد ووكيل مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما • (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) الله مبتدأ وجملة يتوفى الأنفس خبر وحين موتها متعلق بيتوفى والواو حرف عطف والتي معطوف على الأنفس وجملة لم تمت في منامها صلة وفي منامها ظرف ليتوفى والمعنى ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام ومنه قوله تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل » • (فيمسك التي قضى عليها المـوت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) الفاء عاطفة ويمسك فعل مضارع معطوف على يتوفى والتي مفعول يمسك وجملة قضى عليها الموت صلة والموت مفعول قضى ويرسل عطف عـلى يمسك والأخرى مفعول به وإلى أجل متعلقان بيرسل أو بيمسك ومسمى نعت لأجل •

(إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر مقـدم واللام المزحلقة وآيات اسم إن ولقوم صفة لآيات وجملة يتفكرون نعت لقوم •

البلاغـة :

في قوله « قـل يا قوم اعملوا عـلى مكاتـكم » الآية استعارة تصريحية فقد شبهت الحال بالمكان القارّ فيه ، ووجه الشبه ثباتهم في تلك الحال بثبات المتمكن في مكانه ٠

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

الاعراب :

(أم اتخذوا من دون الله شفعـاء) أم حرف عطف بمعنى بل واتخـذوا فعـل ماض والواو فاعل أي قريش ومن دون الله مفعول اتخـذوا الثاني وشفعاء مفعول اتخـذوا الأول ٠ (قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري ومدخولها محذوف تقـديره أيشفعون والواو حالية ولو شرطية وكان واسمها وجملة لا يملكون خبرها والجملة في موضع نصب على الحال والمعنى أيشفعون في حالة كونهم لا يملكون ولا يعقلون وشيئاً مفعول به أو

مفعول مطلق وقد تقدم القول فيها ولا يعقلون عطف على لا يملكون ، وجواب لو محذوف تقديره تتخـذونهم أي وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم • (قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون) لله خبر مقدم والشفاعة مبتدأ مؤخر واللام للملك أي انه مختص بها لا يملكها أحد إلا بتمليكه وجميعاً حال وله خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتـــدأ مؤخـــر ثم حرف عطف للترتيب والتراخي وإليه متعلقان بترجعون •

(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) الواو عاطفــة وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة ذكر الله في محــل جر بإضافة الظرف إليها والله نائب فاعل ووحده حال وعــلى المصدر عند الخليل وسيبويه ، وجملة اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة لا محل لها لأنها جواب إذا • (وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) عطف عــلى ما تقــدم ومن دونه صلة الــذين وإذا الفجائية وقد جرينا على أنها حرف فلا تحتاج إلى عامل وإذا كانت ظرف زمان أو مكــان كانت معمولة لما بعــدها وهم مبتــدأ وجملة يستبشرون أي يستبشرون وقت ذكر الذين من دونه • (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) اللهم منادى والميم المشددة عوض عن يا وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً وفاطر السموات والأرض منادى مضاف وهنــاك أعاريب أخرى سيرد الكلام عنهــا مفصــلاً في باب الفوائد وكــذلك قوله عالم الغيب والشهادة • (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أنت مبتدأ وجملة تحكــم خبر وبين عبادك الظرف متعلق بتحكم وفيما متعلقان بتحكم أيضاً وكانوا كان واسمها وجملة يختلفون خبر كانوا وفيه متعلقان بيختلفون وجملة كانوا الخ صلة ما •

الفوائـد :

١ ـ عودة إلى « اللهم » :

مذهب الخليل وسيبويه أن هذا الاسم لا يوصف لأنه صار عندهم مع الميم بمنزلة الصوت أي غير متمكن في الاستعمال وذهب المبرد والزجاج إلى جواز وصفه بمرفوع على اللفظ ومنصوب على المحل وجعل فاطر السموات والأرض صفة له ، قال أبو حيان : والصحيح مذهب سيبويه لأنه لم يسمع مثل اللهم الرحيم ارحمنا والآية ونحوها محتملة للنداء .

وقال ابن هشام : « وإنما قال في قل اللهم فاطر السموات والأرض : إنه على تقدير يا ولم يجعله صفة على المحل لأن عنده أن اسم الله سبحانه وتعالى لما اتصلت به الميم المعوضة عن حرف النداء أشبه الأصوات فلم يجز نعته » أي فقد صار مثل هلا إذا الميم بمنزلة صوت مضموم الى اسم الله مع بقائهما على معنييهما .

٢ ـ الاستبشار والاشمئزاز :

قال الزمخشري : « الاستبشار أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والإشمئزاز أن يمتلىء غماً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه » .

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٩﴾ (٤٨)

الاعراب :

(ولو أن للذين ظلموا مافي الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) كلام مستأنف مسوق لبيان نمط من أنماط الهول الذي ينتظرهم والعذاب الشديد الذي أعد لهم • ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف على الأرجح وقد تقدم تقرير ذلك أكثر من مرة ، وللذين خبرها المقدم وما اسمها المؤخر وفي الأرض صلة ما وجميعاً حال ومثله عطف على ما ومعه ظرف متعلق بمحذوف حال واللام واقعة في جواب لو وافتدوا فعل وفاعل وبه متعلقان بافتدوا ومن سوء العذاب متعلقان بافتدوا أيضاً ويوم القيامة الظرف حال من فاعل افتدوا أي حال كونهم في ذلك اليوم العصيب • (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) كلام معطوف على جملة ولو أن للذين ظلموا الآية وبدا فعل ماض ولهم متعلقان به ومن الله حال وما فاعل وجملة لم يكونوا صلة ما وجملة يحتسبون خبر يكونوا والعائد محذوف أي يحتسبونه •

(وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) عطف على ما تقدم ولك أن تجعل الكلامين مستأنفاً مسوقاً لإبراز وعيدهم في أبلغ ما يكون الوعيد والتهديد وإعرابها مماثل لما تقدم •

(فإذا مس الإنسان ضر دعانا) الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها من المناقضة على ما سبق ذكره وسيأتي السر في إيثار الفاء مع أنها

تقدمت في أول السورة معطوفة بالو و وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ومس الإنسان ضر فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وجملة دعانا لا محل لها لأنها جواب إذا . (ثم إذا خولناه نعمة منّا قال : إنما أوتيته على علم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة خولناه في محل جر بإضافة الظرف إليها وخولناه فعل وفاعل ومفعول به ونعمة مفعول به ثان ومنّا صفة لنعمة وجملة قال لا محل لها وإنما كافة ومكفوفة وأوتيته فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل والهاء مفعول به وذكر الضمير لأن النعمة بمعنى الاحسان والعطاء ولك أن تعمل ان فتجعل ما موصولة في محل نصب اسمها وعلى علم خبرها والأول أرجح وعلى علم متعلقان بمحذوف حال أي حال كوني عالماً أني سأعطاه لما أتمتع به من جدارة واستحقاق .

(بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون) بل اضراب انتقالي وهي مبتدأ وفتنة خبر أي مقالته المذكورة أو النعمة وهذا أرجح ، ولكن الواو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها . قال الفراء : أنّث الضمير في قوله هي لتأنيث الفتنة ولو قال : بل هو فتنة لجاز ، وتذكير الأول في قوله أوتيته باعتبار معناها .

البلاغة :

إنما عطف قوله فإذا مس الإنسان ضر في آخر السورة بالفاء وفي أولها بالواو لأن هذه نشأت عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم أي أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة . أما الأولى فلم تنشأ عما قبلها وإنما هو وصف الكلام اقتضى عطفها بالواو لمناسبة ما قبلها .

قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

الاعراب :

(قد قالها الذين من قبلهم) قد حرف تحقيق وقالها فعل ماض ومفعول به مقدم والهاء عائدة على مقالتهم وهي : إنما أوتيته عن علم لأنها كلمة والذين فاعله ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول . (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) الفاء عاطفة وما نافية وأغنى فعل ماض وعنهم متعلقان به وما فاعل أغنى وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يكسبون خبرها . (فأصابهم سيئات ما كسبوا) الفاء عاطفة وأصابهم سيئات فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وما موصولة أو مصدرية في محل جر بالإضافة . (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة ظلموا صلة ومن هؤلاء حال وجملة سيصيبهم سيئات ما كسبوا خبر الذين ، وما هم : ما نافية حجازية وهم اسمها والباء حرف جر زائد ومعجزين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما .

(أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو عاطفة على محذوف تقديره أقالوها ولم يعلموا ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعلموا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا وان واسمها وجملة يبسط الرزق خبرها ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط • (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) إن وخبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يؤمنون صفة لقوم •

* قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

الاعراب :

(قـل يا عبادي الذين أسرفوا عـلى أنفسهم لا تقنطـوا من رحمة الله) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الإنابة مطلوبة لأن الفسحة عظيمة للمسرف • ويا عبادي منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة وقرىء يا عباد بكسرها وقد تقدم حكم المنادى المضاف لياء المتكلم والـذين نعت لعبادي وجملة أسرفوا صلة وعـلى أنفسهم متعلقـان بأسرفوا ولا ناهية وتقنطوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ومن رحمة الله متعلقان بتقنطوا • وقنط من باب تعب وسلم فيجوز كسر نونه وفتحهـا في المضارع وقد قرىء بهما وفي المختار : « القنوط : اليأس وبابه جلس ودخـل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقانط » وقد قرىء بالضم شذوذاً •

(إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) إن واسمها وجملة يغفر خـبرها والجملة تعليـل للنهي عـن القنـوط ولذلك قيل: هذه أرجى آية في القرآن وسيأتي بيان ما فيها من أفانين البلاغة، والذنوب مفعول به وجميعاً حـال وذلك بعد التوبة من الشرك وإن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والغفور الرحيم خـبران لإن أو لهو والجملة خبر إن • (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبـل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) وأنيبوا الواو عاطفة وأنيبوا فعل أمر وفاعله وإلى ربكم متعلقان بأنيبوا وأسلموا عطف أيضاً وله متعلقان بأسلموا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف الى الظرف ويأتيكم فعل مضارع منصوب بأن والكاف مفعول به مقدم والعذاب فاعـل مؤخر وثم حرف عطف للترتيب مع

التراخي وتؤمرون فعل مضارع مرفوع لأنه لم يعطف على يأتيكم وسيأتي السر في ذلك في باب البلاغة .

(واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) واتبعوا عطف على وأنيبوا وأحسن مفعول به لاتبعوا وما اسم موصول مضاف لأحسن وجملة أنزل إليكم صلة ومن ربكم متعلقان بأنزل أيضاً . (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) من قبل متعلقان بمحذوف حال وأن وما في حيزها في محل جر بالإضافة وبغتة حال والواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة لاتشعرون خبر والجملة نصب على الحال . (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) أن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله ، وقدّره الزمخشري كراهة أن تقول وقدّره أبو البقاء أنذر ناكم مخافة أن تقول ، ونفس فاعل تقول وسيأتي السر في تنكيرها في باب البلاغة ويا حرف نداء وحسرتا منادى مضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفاً وأصله يا حسرتي أي ندامتي وعلى ما فرطت أي على تفريطي فما مصدرية والمصدر المؤول مجرور بعلى والجار والمجرور متعلقان بحسرتا وفي جنب الله متعلقان بفرطت وسيأتي بحث هذه الكناية في باب البلاغة .

(وإن كنت لمن الساخرين) الواو للحال وان مخففة من الثقيلة أي والحال أني وكان واسمها واللام الفارقة ومن الساخرين خبر كنت ومحل الجملة نصب على الحال . (أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتقين) أو حرف عطف وتقول عطف على أن تقول ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت وأن واسمها وجملة هداني خبرها واللام واقعة في جواب لو وكان واسمها ومن المتقين خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط جازم .

(أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) أو تقول عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره هي يعود على نفس وأو للتنويع لما تقوله النفس في ذلك اليوم العصيب تعللاً بما لا يفيد ولا يسفر عن فائدة ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف وأن وخبرها المقدم وكرة اسمها المؤخر ، فأكون : الفاء عاطفة وأكون معطوف على كرة فهو عطف على اسم خالص من التقدير بالفعل وقد تقدمت الإشارة إليه وإما تكون الفاء للسببية وأكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للتمني المفهوم من قوله لو أن لي كرة والفرق بين الوجهين أنه على الأول يكون فيه الكون من جملة المتمنى وعلى الثاني يكون فيه الكون مترتباً على حصول المتمنى لا متمنى .

(بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى حرف جواب جاء لرد النفي الذي تضمنه قول القائل لو أن الله هداني وقد حرف تحقيق وجاءتك آياتي فعل ومفعول به وفاعل فكذبت بها عطف على جاءتك وكنت كان واسمها ومن الكافرين خبرها .

البلاغة :

١ ـ في قوله : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » فنون متنوعة من علمي البديع والبيان نلخصها فيما يلي :

١ ـ إقباله سبحانه عليهم وفي ذلك متنهى الاطمئنان لهم لمحو ما سبق لهم من ذنوب وأوضار والإشعار بأن أمامهم مندوحة من الوقت لاستدراك ما فرط ورأب ما انصدع .

٢ ـ نداؤهم ، وفي ذلك من التودّد إليهم والتلطف بهم ما يهيب بذوي المسكة من العقول منهم الى المبادرة بالإنابة والرجوع بالتوبة .

٣ ـ إضافتهم إليه إضافة تشريف لهم ، وأنهم خلقاء بآصرة العبودية يمتون بها اليه سبحانه ، وذلك كاف لمقابلتهم ذلك بالمثل واعلان التوبة للازدلاف اليه بها .

٤ ـ إضافة الرحمة الى أخص أسمائه تعالى وأجلها وأنها هي الأصل في معاملته لعباده .

٥ ـ إعادة الظاهر بلفظه في قوله إن الله يغفر الذنوب جميعاً .

٦ ـ الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله من رحمة الله لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم كما تقدم آنفاً .

٧ ـ ابراز الجملة من قوله إنه هو الغفور الرحيم مؤكدة بأن وبضمير الفصل وبالصفتين المودعتين للمبالغة فهذه سبعة فنون كاملة في آية واحدة .

٢ ـ الإيضاح :

وذلك في قوله «ثم لا تنصرون» فلقائل أن يقول لمَ لمْ يعطف تنصرون على أن يأتيكم المنصوب والجواب عن هذا الإشكال انه أراد ـ وهو أعلم ـ العدة بإخبارهم أنه لن ينصرهم أبداً في الاستقبال

ما داموا مصرين عــلى عدم الإنابة محجمين عن الإسلام وقد تقدمت آية مماثلة لها في هذا الفن في سورة آل عمران •

٣ ــ التنكير :

والسر في تنكير النفس في قوله « أن تقول نفس » التقليل ، لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر وانها نفس متميزة من الأنفس بهذه السمة من اللجاج في الكفر وربما أريد بها التكثير على حد قول الأعشى :

ورب بقيــع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

يريد كراماً كثيرين لا كريماً واحــداً ومثله : رب بلد قطعت ، ورب بطل قارعت وهو يقصد بلاداً وأبطالاً •

٤ ــ الكناية :

في قوله « على ما فرطت في جنب الله » والجنب الجانب يقال : أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه ، قال جميل بن معمر :

أما تتقــين اللــــه في جنب وامق
له كبـــد حــرى عليك تقطــــع

غــريب مشوق مولـــع بادكاركـم
وكـــل غريب الدار بالشوق مولـــع

يستعطف جميل صاحبته بثينة ويتوجع إليها مما نابه فيها أي أما تخافين الله في جنب وامق أي في حقه الواجب عليك فالجنب كناية عن ذلك والوامق الشديد المحبـــة يعني نفسه وحرى أي ذات حر واحتراق ، وتقطع : أصله تتقطع والادكار أصله الاذتكار قلبت تاء الافتعـــال دالاً مهملة وأدغمت الذال المعجمة فيها ، وخاطبها خطاب جمع المذكر تعظيماً لها وفي البيت الثاني رد العجز على الصدر وهو من بديع الكلام . وهذه الكناية تسمى كناية نسبة ، وقد تقدم القول في أقسام الكناية ، لأنك إذا أثبتّ الأمر في مكان الرجل وحيّزه فقد أثبتّه فيه ، قال زياد الأعجم :

إن السماحـــة والمـــروءة والنـــدى
في قبـــة ضربت عـــلى ابن الحشـــرج

يعني انه مختص بهذه الصفات لا توجد في غيره ولا خيمة هناك ولا ضرب أصلاً .

الفوائـــد :

ألف الفصل :

ألف الفصل تزاد بعد واو الجماعة مخافة التباسها بواو النسق مثل : « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له » ومثـــل : كفروا ووردوا ، ألا ترى أنهم لو لم يدخلوا الألف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها ظن القارىء أنها كفر وورد فحيزت الواو لما قبلها بألف الفصل ، ولما

فعلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع واوها من الحروف قبلها نحو ساروا وجاءوا فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل واوها بالحروف قبلها نحو كانوا وبانوا ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكماً واحداً .

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

اللغة :

(بمفازة) : المفازة : الفلاة المهلكة سميت باسم المنجاة على سبيل التفاؤل ، وفوّز المسافر : ركب المفازة ومضى فيها ، قال حسان:

لله درّ رافع أنّى اهتدى ... فوّز من قراقر إلى سوى

وفوّز بإبله ، وفوّز الرجل مات فصار في مفازة ما بين الدنيا والآخرة من البرزخ الممدود أو لأن المفازة صارت اسماً للمهلكة فأخذ

منها فوّز بمعنى هلك ، وفاز سهمه وخرج له سهم فائز إذا غلب ، وفاز بفائزة هَنيّة وأجيز بجائزة سنية . وقد سموا اللديغ سليماً تفاؤلاً ببرئه كما سموا القافلة للمسافرين تفاؤلاً بأوبتهم .

(مقاليد) : المقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح أو مقليد مثل منديل ومناديل والكلام من باب الكناية وعبارة القاموس : « والإقليد بُرَة الناقة والمفتاح كالمقلاد والمقلد وشريط يشد به رأس الجُلة وشيء يطوّل مثل الخيط من الصُّفر يُقلد على البرة وعلى خوق القرط كالقلاد والعنق وجمعه أقلاد ، وناقة قلداء : طويلتها ، وكسكيت ومصباح : الخزانة ، وضاقت مقالده ومقاليده ضاقت عليه أموره وكمنبر : الوعاء والمخلاة والمكيال وعصا في رأسها اعوجاج » الى أن يقول : « والقلادة : ما جعل في العنق ، وتقلد : لبسها » . على أن الزمخشري وغيره من علماء اللغة يقولون إن أصل الكلمة فارسي ، قال في الكشاف : « له مقاليد السموات والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقلد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية فإن قلتْ : ما للكتاب العربي المبين وللفارسية ؟ قلت : التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملاً » .

الاعراب :

(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) الواو استئنافية والظرف متعلق بترى وترى فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت والذين مفعوله وجملة كذبوا على الله صلة

ووجوههم مبتدأ ومسودة خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال من الموصول لأن الرؤية بصرية ويجوز أن تكون الرؤية قلبية فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني لترى والكذب على الله معناه نسبة الشريك إليه • (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) الهمزة للاستفهام التقريري وليس وخبرها المقدم ومثوى اسمها المؤخر وللمتكبرين نعت لمثوى والجملة تعليلية لاسوداد وجوههم • (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) الواو عاطفة وينجي الله الذين فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة اتقوا صلة وبمفازتهم متعلقان بينجي لأنها سببية ففوزهم بالفلاح سبب النجاة • (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) لا نافية ويمسهم السوء فعل مضارع ومفعول به وفاعل والواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ وجملة يحزنون خبر وجملة لا يمسهم السوء لا محل لها لأنها مفسرة للمفازة كأنه قيل : ما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء ولا يبعد أن تكون في موضع نصب على الحال من الذين اتقوا وأجاز الزمخشري أن تكون مستأنفة •

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) الله مبتدأ وخالق كل شيء خبر وهو مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بوكيل ووكيل خبر هو والجملة مستأنفة • (له مقاليد السموات والأرض) له خبر مقدم ومقاليد السموات والأرض مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة أيضاً • (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) الذين مبتدأ وجملة كفروا بآيات الله صلة وهم مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر الذين ولك أن تجعل هم ضمير فصل لا محل له كما تقدم والجملة معطوفة على وينجي الله الذين آمنوا عطف أحد المتقابلين

عـلى الآخر ولا يمنع من هـذا العطف كون المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية • (قل : أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف وغير الله نصب بأعبد وجملة تأمروني اعتراض وسيأتي الكلام في حذف النون وأعبد فعل مضارع والأصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن وارتفع أعبد كما ارتفع في قول طرفة :

ألا أيهـا ذا الزاجري أحضـر الوغى

وأن اشهـد اللذات هـل أنت مخلدي

وفيما يلي النص الكامل لإعراب أبي البقاء لهذه الآية :

« أفغير الله ، في اعرابها أوجه ، أحدها : أنه منصوب بأعبد مقدماً عليه وقد ضعف هذا الوجه من حيث كان التقدير أن أعبد فعند ذلك يفضي الى تقديم الصلة على الموصول وليس بشيء لأن أن ليست في اللفظ فلا يبقى عملها فلو قدرنا بقاء حكمها لأفضى الى حذف الموصول وبقاء صلته وذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر ، والوجه الثاني أن يكون منصوباً بتأمروني وأعبد بدلاً منه والتقدير قل أفتأمروني بعبادة غير الله عز وجل وهذا من بدل الاشتمال ومن باب أمرتك الخير ، والثالث أن غير منصوب بفعل محذوف أي أفتلزموني غير الله وفسره فيما بعد ، وقيل لا موضع لأعبد من الاعراب وقيل هو حال والعمل على الوجهين الأولين وأما النون فمشددة على الأصل وقد خففت بحذف الثانية وقد ذكر نظائره » ونون تأمروني نون الرفع كسرت للمناسبة وحذفت نون الوقاية لاجتماع المثلين وقرىء بسكون

الياء وفتحها فالقراءات أربع وكلها سبعية• وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم والهاء للتنبيه والجاهلون بدل من أيها •

(ولقد أوحي إليك والى الذين من قبلك) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأوحي فعل ماض مبني للمجهول وإليك سد مسد نائب الفاعل وقيل نائب الفاعل محذوف يدل عليه سياق الكلام أي أوحي إليك التوحيد والى الذين عطف على إليك ومن قبلك متعلقان بمحذوف صلة الموصول • (لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين) اللام موطئة للقسم أيضاً وإن شرطية وأشركت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط واللام واقعة في جواب القسم وهذا القسم وجوابه جواب القسم الأول وأما جواب الشرط فمحذوف على حد قول ابن مالك :

واحـذف لدى اجتمـاع شرط وقسـم
جـواب ما أخرت فهـو ملتـزم

ويحبطن فعـل ماض مبني عـلى الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وعملك فاعل ولتكونن عطف على ليحبطن واسم تكونن مستتر تقديره أنت ومن الخاسرين خبر • (بل الله فاعبدْ وكن من الشاكرين) كلام معطوف على مقدر دل عليه السياق أي فلا تشرك ، والله نصب بفعـل محذوف دل عليه فاعبد أي إن كنت عاقـلاً فاعبد الله والفاء الفصيحة واعبد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكن عطف عـلى اعبد واسم كن مستتر تقديره أنت ومن الشاكرين خبر كن •

الفوائد :

أفرد سيبويه في كتابه فصلاً خاصاً لهذا التركيب وهو « بل الله فاعبد » وهذه خلاصته : الأصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً فلما وقعت الفاء أولاً استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظاً ودالة على أن ثم شرطاً محذوفاً اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها ويضاف إلى هذه الغاية في التقديم فائدة الحصر كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص •

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ
ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ
رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ

(٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤) وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٥)

الاعراب :

(وما قدروا الله حق قدره) كلام مستأنف مسوق لتصوير قدرته تعالى وما نافية وقدروا الله فعل وفاعل ومفعول به أي ما علموا كنهه وما عرفوه حق معرفته ، وحق قدره نصب على المفعولية المطلقة . **(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)** الواو للحال والأرض مبتدأ وجميعاً حال وقبضته خبره والجملة حال من الله ويوم القيامة ظرف متعلق بمحذوف حال من قبضته أو هي متعلقة بها على تضمينها معنى مقبوضة والسموات مبتدأ ومطويات خبر وبيمينه متعلقان بمطويات وعبارة أبي البقاء : « والأرض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعاً حال من الأرض والتقدير إذا كانت مجتمعة قبضته أي مقبوضة فالعامل في إذا المصدر لأنه بمعنى المفعول ، وقد ذكر أبو علي في الحجة : التقدير ذات قبضته وقد رد عليه ذلك وأن

المضاف إليه لا يعمل فيما قبله وهذا لا يصح لأنه الآن غير مضاف اليه وبعد حذف المضاف لا يبقى حكمه ويقرأ **قبضته** بالنصب على معنى **في** قبضته وهو ضعيف لأن هذا الظرف محدود فهو كقولك زيد الدار ، والسموات مطويات مبتدأ وخبر وبيمينه متعلقان بالخبر ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في الخبر وأن يكون خبراً ثانياً وقرىء مطويات بالكسر على الحال وبيمينه الخبر وقيل الخبر محذوف أي والسموات قبضته » هذا وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة .

(سبحانه وتعالى عما يشركون) سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة ما . (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) الواو حرف عطف على ما تقدم وعبر عما سيأتي بالماضي لتحقق وقوعه ونفخ فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النافخ قيل هو إسرافيل أو اسرافيل وجبريل وفي الصور متعلقان بنفخ فصعق عطف على نفخ ومن فاعل وفي السموات ومن في الأرض صلة من وإلا أداة استثناء ومن مستثنى واختلف في المستثنى من هم ؟ على أقوال متعددة يرجع اليها في المطولات وجملة شاء الله صلة من . (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي لبعد ما بين النفختين ونفخ فعل ماض مبني للمجهول وفيه متعلقان بنفخ وأخرى نائب فاعل نفخ على حد قوله تعالى « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة » ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو القائم مقام نائب الفاعل وأخرى صفة لمصدر محذوف نابت عنه أي فهي مفعول مطلق والفاء عاطفة وإذا

الفجائية لا محــل لها وهم مبتدأ وقيام خبر وجملة ينظرون خبر ثان ومعنى ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت المشدوه إذا فاجأه خطب .

(وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب) الواو عاطفــة وأشرقت الأرض فعــل وفاعل وبنور ربهــا متعلقان بأشرقت ووضع الكتاب عطف على ما تقدم ووضع فعل ماض مبني للمجهول والكتاب نائب فاعل وأل في الكتاب للجنس أي أعطي كــل واحــد كتابه أي صحائف أعماله المدونة فيهــا حسناته أو سيئاته . (وجيء بالنبيــين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) وجيء عطف عــلى ما تقدم أيضاً وبالنبيين متعلقان بجيء والشهداء عطف على النبيــين وقضي فعــل ماض مبني للمجهول وبينهم إما ناب مناب الفاعل وإما متعلق بقضي ونائب الفاعل محذوف مقــدر من المصدر المفهوم أي وقضي القضاء وبالحق متعلقــان بمحــذوف حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر والجملة في محل نصب على الحال .

(ووفيت كــل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) ووفيت عطف أيضاً وكل نفس نائب فاعــل وما مفعول به ثان لوفيت وجملة عملت صلة ولك أن تجعل ما مصدرية أي عملها فيكون المصدر المؤول هو المفعول الثاني والواو حالية أو عاطفــة وهو مبتدأ وأعلــم خبر وبما متعلقان بأعلــم وجملة يفعلون صلة . (وسيق الذين كفروا إلى جهنــم زمراً) الواو عاطفــة وسيق الذين فعل ماض مبني للمجهول والذين نائب فاعل وجملة كفروا صلة وإلى جهنم متعلقان بسيق وزمراً حال وهي جمــع زمرة والزمرة الجماعة واشتقاقهــا من الزمر وهو الصوت لأن الجماعة يكون لها صوت دائماً يقال زمر يزمر من بابي

دخل وضرب أي غنى بالنفخ في القصب ونحوه • ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ حتى ابتدائية وقد تقدم القول مطولاً في حتى وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاءوها في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة فتحت أبوابها لا محل لها لأنها جواب إذا وأبوابها نائب فاعل •

﴿ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ﴾ وقال عطف على فتحت ولهم متعلقان بقال وخزنتها فاعل قال والهمزة للاستفهام التقريري الإنكاري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأت فعل مضارع مجزوم بلم والكاف مفعول به ورسل فاعل ومنكم صفة لرسل وجملة يتلون صفة ثانية أو حال وعليكم متعلقان بيتلون وآيات ربكم مفعول يتلون • ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ وينذرونكم عطف على يتلون ولقاء يومكم مفعول به ثان أو نصب بنزع الخافض ويومكم مضاف للقاء وأراد به وقت دخولهم النار وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة وهذا نعت ليومكم أو بدل منه • ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ بلى حرف جواب لإثبات النفي أي بلى أتونا وتلوا علينا والواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهملة وحقت كلمة العذاب فعل وفاعل وعلى الكافرين متعلقان بحقت •

﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ جملة مستأنفة وجملة ادخلوا مقول القول وأبواب جهنم مفعول به على السعة وخالدين حال وفيها متعلقان بخالدين والفاء استئنافية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ومثوى المتكبرين فاعله والمخصوص بالذم محذوف أي هي • ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً ﴾

تقـدم إعرابها بنصها وسيأتي الفرق بين السوقين في باب البلاغـة ٠ (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) حتى الابتدائية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاءوها في محل جر بإضافة الظرف اليها وجوابها هنا محذوف لأنه في صفة أهـل الجنة فدل بحـذفه على أنه شيء لا يكتنه ولا يحيط به الوصف والواو عاطفـة وجملة وفتحت أبوابها معطوفة على جاءوها وسيأتي مزيد من القول فيها ٠

(وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) الواو عاطفة وقال لهم خزنتها فعل وفاعل وسلام مبتدأ وعليكم خبره وطبتم فعـل وفاعل ، فادخلوها الفاء تعليلية وادخلوها فعل وفاعل ومفعول وخالدين حال ٠ (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) كلام معطوف على جواب إذا المحذوف أي دخلوها وقالوا ، والحمد مبتدأ ولله خبره والجملة مقول القول والذي نعت وجملة صدقنا صلة وهي فعل ماض وفاعـل مستتر ومفعول به أول ووعـده مفعول به ثان ٠ (وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) جملة وأورثنا عطف على صدقنا والأرض مفعول به ثان وجملة نتبوأ حال من مفعول أورثنا والفاعل مستتر تقديره نحن ومن الجنة متعلقان بمحذوف حال وحيث ظرفية على بابها متعلقة بنتبوأ أو مفعول نتبوأ قال الزمخشري : « يكون لكل واحـد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة عـلى الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره » والفاء استئنافية ونعم أجر العاملين تقدم إعرابها ٠

(وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) كلام مستأنف مسوق لوصف الملائكة المقربين في ذلك اليوم وترى الملائكة فعل مضارع وفاعـل مستتر ومفعول به وحافين حـال أي

محدقين محيطين بالعرش مصطفين بحافته وجوانبه ومن حول العرش متعلقان بحافين وجملة يسبحون بحمد ربهم حال ثانية • (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) الواو عاطفة وقضي فعل مبني للمجهول وبينهم ظرف نائب عن فاعل الفاعل أو متعلق بقضي ونائب الفاعل مصدر مفهوم من الفعل أي قضي القضاء وبالحق حال والضمير في بينهم يرجع الى العباد والملائكة معاً وقيل عطف على قضي وجملة الحمد لله رب العالمين مقول القول •

البلاغـة :

تميز ختام سورة الزمر بذكر أحوال القيامة والتحميد والتسبيح كما تميز بالجزالة في اللفظ ولسنا نعني بالجزالة أن يكون اللفظ وحشياً متوعراً عليه عنجهية البداوة بل نعني بها أن يكون اللفظ متيناً قوياً على عذوبة في الفم وحلاوة جرسه في السمع ، ولو نظرنا الى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فإننا لانرى شيئاً من ذلك وحشي الألفاظ ولامتوعراً موغلاً في الجساوة والنبوء وسنعمد الى إيضاح ما ورد فيها من فنون •

١ ــ المجاز :

فأولها المجاز في قوله « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » فإن قبض الله الأرض عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته ، يقال : فلان في قبضتي يعني انه في قدرته باعتبار ما يئول اليه لأن القابض يتصرف بما يقبضه كيف يشاء

والقبضة المرة من القبض والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان أولهما قوله جميعاً والثاني قوله السموات ، وطي السموات والأرض مجاز أيضاً ليس يريد به طياً كما نفهمه وإنما المراد به الذهاب والفناء ، واليمين في كلام العرب تأتي بمعنى القدرة والملك كما قدمنا .

٢ ـ الفرق بين السوقين :

وفي قوله « وسيق » بالنسبة لأهل النار وأهل الجنة إذ عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ واحد فن دقيق المسلك وهو أن يأتي المتكلم بكلمة واحدة فتكون تارة دالة على الهوان والعقاب ثم يأتي بها ثانية فتكون دالة على الإكرام وحسن الثواب ، وما أجمل قول الزمخشري في هذا الصدد قال : « فإن قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق ؟ قلت : المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعاً الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين » .

الفوائد :

١ ـ أقوال المعربين في جواب إذا :

أفاض المعربون كثيراً في جواب إذا والسر في مجيء الواو بقوله « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » وقد أوردنا في باب الإعراب

ما اخترناه ، أما السمين فقد لخص أقوال المعربين بقوله : « في جواب إذا ثلاثة أوجه أحدها قوله وفتحت والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والأخفش وإنما جيء هاهنا بالواو دون التي قبلها لأن أبواب السجون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها والثاني أن الجواب محذوف قال الزمخشري وحقه أن يقدر بعد خالدين يعني لأنه لا يجيء بعد متعلقات الشرط ما عطف عليه والتقدير : اطمأنوا وقدره المبرد سعدوا وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله وفتحت أبوابها في محل نصب على الحال وسمى بعضهم هذه الواو واو الثمانية قال لأن أبواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله تعالى : وثامنهم كلبهم وقيل تقديره حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه يزيد بتقييده بالحال فلذلك صح » .

٢ ــ فصل ممتع للرماني :

هذا وننقل فيما يلي خلاصة وافية للفصل الذي عقده علي بن عيسى الرماني في تفسيره الكبير المفقود ، وكم يؤسفنا أن يضيع هذا الكتاب بين سمع الأرض وبصرها ، ولكن الذي يعزينا أن السيوطي نقل عنه كثيراً وذكره كل من ترجم للمؤلف فقد كان الرماني نحوياً متكلماً وكان شيخ العربية في زمانه شغوفاً بالمنطق حتى غلب عليه في جميع تآليفه وكلامه ، قيل للصاحب : هلا صنفت تفسيراً ؟ فقال : وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً ؟ وكان الرماني نفسه يقول : « تفسيري بستان تجتني منه ما تشتهي » وقد اشتهر تفسيره بين الناس

وكثر ذكره في كتبهم ولم يصل إلينا هذا التفسير فهو يقول في صدد دراسته لسر الجمال في القرآن عندما يتحدث عن هذه الآية : « كأنه قيل حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير وإنما صار الحذف في مثل هـذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر عن الوجه الذي تضمنه البيان .

سورة غافر مكية
وآياتها خمس وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ (٦)

اللغــة :

(حم) : تقــدم القول في أوائل السور بمــا يغني عن المزيد ونضيف هنا الآن ما قاله الجوهري : « وآل حم سور في القرآن فأما قول العامة الحواميم فليس من كــلام العرب » وقــال أبو عبيدة :

« الحواميم سور في القرآن على غير قياس » قال « والأولى أن تجمع بذوات حم » ويتلخص من هذا أن هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافاً للجوهري الذي أنكر الأول وقال الكميت يمدح آل البيت :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

فهو بمعنى ذوات أي في السور المنسوبة إلى هذا اللفظ ومن المعلوم أن لفظ آل كما يطلق على الأهل يطلق بمعنى ذو فيذكر قبل مالا يصح تثنيته وجمعه من الأسماء المركبة ونحوها كتأبط شراً ، فإذا أرادوا تثنيته وجمعه وهو جملة لا يتأتى فيها ذلك ولم يعهد مثله في كلام العرب زادوا قبله لفظ آل أو ذو فقالوا : جاءني آل تأبط شراً أو ذو تأبط شراً أي الرجلان أو الرجال المسمون بذلك ومنه آل حم بمعنى الحواميم في قول الكميت الآنف الذكر .

(التوب) : في المختار : « التوب الرجوع عن الذنب وبابه قال وتوبة أيضاً وقال الأخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة » .

(الطول) : الفضل والزيادة والانعام الواسع وفي الصحاح : « والطول بالفتح: المن يقال منه طال يطول من باب قال إذا امتن عليه »

وقال الماوردي : « الفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب والتفضل إحسان غير مستحق » .

الاعراب :

(حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) تقدم القول في

إعراب فواتح السور وأيسر ما فيه أنها خبر لمبتدأ مضمر أو مبتدأ والخبر ما بعدها ، وتنزيل الكتاب مبتدأ ومن الله خبره والعزيز العليم صفتان . (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول) هذه صفات أيضاً للجلالة وسيأتي في باب الفوائد ما قيل في المغايرة بين بعض الصفات والموصوف من حيث التعريف والتنكير . (لا إله إلا هو إليه المصير) يجوز أن تكون هذه الجملة صفة كما قال أبو البقاء ولكن يرد عليه أن الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن أن يريد أنه صفة لشديد العقاب فالأولى أن تكون جملة مستأنفة وأن تكون حالاً لازمة وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً ، وإليه خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) ما نافية ويجادل فعل مضارع مرفوع وفي آيات الله متعلقان بيجادل وإلا أداة حصر والذين فاعل وجملة كفروا صلة . (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) الفاء الفصيحة ولا ناهية ويغررك فعل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به وتقلبهم فاعل وفي البلاد متعلقان بتقلبهم والمعنى إذا ثبت عندك أن المجادلين في آيات الله كفار فلا تغترر بتقلبهم في البلاد بالتجارات المربحة فإنهم مأخوذون بكفرهم .

(كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) كذبت فعل ماض والتاء للتأنيث وقبلهم ظرف متعلق بمحذوف حال وقوم نوح فاعل والأحزاب عطف على قوم نوح وهم قوم عاد وثمود وفرعون وغيرهم ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال . (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) وهمت عطف على كذبت وكل أمة فاعل وبرسولهم متعلقان بهمت واللام للتعليل ويأخذوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل والهاء مفعول به ومعنى ليأخذوه ليتمكنوا

من الايقاع به . ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب ﴾وحاولوا عطف على همت وبالباطل متعلقان بمحذوف حال وليدحضوا اللام للتعليل ويدحضوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وبه متعلقان بيدحضوا والحق مفعول به ، فأخذتهم عطف على جادلوا ، فكيف : الفاء عاطفة وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعقاب اسم كان مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف .

﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ الكاف يجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف وقد تقدم تقرير ذلك أكثر من مرة ويحتمل أن تكون خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر كذلك وكلمة ربك فاعل وعلى الذين كفروا متعلقان بحقت وأنهم أصحاب النار المصدر المؤول في محل رفع بدل من كلمة ربك أو في محل نصب بنزع الخافض وهو لام التعليل .

الفوائد :

١ ــ التغاير بين الموصوف والصفة :

من مباحث النحو الجليلة وقوع التغاير ، في الظاهر ، بين الموصوف والصفة ، فلقائل أن يقول : كيف جاز وصف المعرفة وهو الله سبحانه بغافر الذنب وقابل التوب وشديد العقاب لأن هذه الثلاث مشتقات ، وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً فمن ثم وقع التغاير المشار إليه ، وقد أجاب سيبويه عن ذلك بقوله : « إن كل ما إضافته غير محضة يجوز أن تجعل محضة وتوصف به المعارف إلا الصفة المشبهة »

أما الكوفيون فلم يستثنوا الصفة المشبهة أيضاً فقالوا في نحو حسن الوجه إنه يجوز أن تصير إضافته محضة ، فعلى مذهبهم يصح أن تكون الثلاث نعوتاً ، وعلى مذهب سيبويه يعرب شديد العقاب بدلاً ، وفيما يلي تقرير الزمخشري بهذا الصدد قال : « فإن قلت : كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف ؟ قلت : أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثل ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ، ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج .... على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا ، أنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف . ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى مالا شيء أدهى منه وأمرّ لزيادة الإنذار . ويجوز أن

يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريق الابدال » •

٢ ــ نكتة زيادة الواو :

وفي زيادة الواو في قوله وقابل التوب نكتة جليلة وهي إفادة الجمع بين رحمتي مغفرة الذنب وقبول التوب ، وروي أن عمر بن الخطاب افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه • قلت : وما فعله عمر رضي الله عنه يجب أن يكون مثالاً يحتذى في حسن الأدب وطريقة الهداية التي تهدي بالتي هي أحسن وتتفادى الغلظة والشدة في القول وسوء التنديد بما يفعله المذنب •

٣ ــ الجدال مذموم إلا في الحق :

وفي قوله « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » إلماع الى ما ينطوي عليه الجدال المذموم لادحاض الحق وإطفاء نور الله ، أما الجدال في الآيات لإزالة مشكلها وحل ملتبسها ومقارعة العلماء في

استنباط معانيهـا وطرق إعرابها وحسن بيانهـا فأمر محمود بل هو مطلوب مفروض وعلى هذا الأساس ورد قوله صلى الله عليه وسلم : « إن جدالاً في القرآن كفر » فقــد أورده منكراً للتمييز بين جدال وجـــدال •

٤ ــ البدلية في قوله « إنهم من أصحاب النار » :

أعربنا « انهم من أصحاب النار » بدلاً من كلمة ربك ولــم نوضح نوع البدل والظاهر أنه يصح أن يكون بدلاً مطابقاً أو بدل اشتمال فإذا نظرنا الى اللفظ كان مطابقاً لاتحاد مدلوله مع مدلول البدل وإذا اعتبرنا المعنى كان بدل اشتمــال لأن معناه وعيده إياهــم ، وحكمه الأزلي بشقائهم •

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

الاعراب :

(الذين يحملون العرش ومن حولــه يسبحون بحمـــــد ربهم ويؤمنون به) الذين مبتدأ وجملة يحملون العرش صلة ومن حوله

عطف على الذين وحوله ظرف متعلق بمحذوف صلة الذين وجملة يسبحون بحمد ربهم خبر الذين وبحمد متعلقان بمحذوف حال أي ملابسين للحمد ويؤمنون به عطف على يسبحون والبحث في معنى حملة العرش ومن هم يرجع إليه في المطولات • (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) ويستغفرون عطف على ما قبله وللذين متعلقان بيستغفرون وجملة آمنوا صلة وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء وهو مقول قول محذوف في محل نصب على الحال أي قائلين ، ووسعت فعل وفاعل وكل شيء مفعول به ورحمة وعلماً تمييزان والتمييز هنا محول عن الفاعل أي وسعت رحمتك كل شيء ووسع علمك كل شيء •

(فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) الفاء الفصيحة واغفر فعل أمر وفاعله أنت وللذين متعلقان باغفر وجملة تابوا صلة والمعنى فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع السبيل القويمة ، واتبعوا سبيلك عطف على للذين تابوا وقهم : قِ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والهاء مفعول به أول وعذاب الجحيم مفعول به ثان • (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأدخلهم عطف على ما تقدم وأدخلهم فعل أمر للدعاء والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به أول وجنات عدن مفعول به ثان على السعة والتي صفة وجملة وعدتهم صلة التي ومن في محل نصب عطفاً على مفعول أدخلهم أو على مفعول وعدتهم وقال الفراء والزجاج « نصبه من مكانين إن شئت على الضمير في أدخلهم وإن شئت على الضمير في وعدتهم وجملة صلح صلة » والأول أرجح ومن آبائهم وما عطف عليه في محل نصب حال •

(إنك أنت العزيز الحكيم) إن واسمها وأنت مبتدأ أو ضمير فصل والعزيز الحكيم خبران لأنت والجملة خبر انك أو خبران لإن وأنت لا محل لها كما تقدم • (وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) الواو عاطفة وقهم فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به والسيئات مفعول به ثان والواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وتق فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والسيئات مفعول به ويومئذ الظرف متعلق بتق وإذ مضاف ليوم والتنوين عوض من جملة محذوفة وقصده من الكلام السابق أي يوم إذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق ورحمته فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها • (وذلك هو الفوز العظيم) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والفوز العظيم خبر ويجوز إعراب هو ضمير فصل لا محل له والاشارة الى ماذكر من الرحمة ووقاية السيئات •

البلاغـة :

في قوله « ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم » فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه فن « الاسجال بعد المغالطة » وهو أن يقصد المتكلم غرضاً من ممدوح فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض إسجالاً منه على الممدوح به ، وبيان ذلك أن يشترط شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ثم يخبر بوقوعه مغالطة وإن لم يكن قد وقع بعد ليقع المشروط ، وقد يقع الاسجال لغير مغالطة وهذا النوع هو الذي وقع في الكتاب العزيز وقد تقدم بحثه ومثاله في آل عمران ، أما النوع الأول فيقع في الشعر كقول ابن نباتة السعدي :

جـــاء الشتاء وما عنـدي له عـــدد

إلا ارتعـــادي وتصفيقي بأسناني

فإن هلكـت فمولانــا يكفنـني

هبني هلكـت فهبني بعض أكفـاني

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار . وإن واسمها وجملة كفروا صلة الذين وجملة ينادون خبر إن وينادون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، والمنادون هم الملائكة بعد أن مقت الكفار أنفسهم وهم يكتوون بنار جهنم ، واللام لام الابتداء ومقت الله مبتدأ والاضافة من إضافة المصدر لفاعله والمفعول به محذوف أي إياكم وأكبر خبر ومن مقتكم متعلقان بأكبر وأنفسكم مفعول مقتكم . (إذ تدعون الى الإيمان فتكفرون) إذ

ظرف متعلق بمقت الله وإن توسط بينهما الخبر لأن الظروف يتوسع فيها مالا يتوسع في غيرها ومنع ذلك أبو البقاء لما تقدم وجعل الظرف متعلقاً بفعل محذوف تقديره مقتكم إذ تدعون ، وجملة تدعون في محل جر بإضافة الظرف إليها وتدعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو هي نائب الفاعل وإلى الإيمان متعلقان بتدعون ، فتكفرون الفاء عاطفة وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والمعنى المتحصل من الآية أنهم عندما يزجون في غيابات النار ويذوقون الهول من احتراقهم بها ينطلقون بالملامة بعضهم على بعض ويتراشقون التهم ويلقي كل واحد الملامة على الآخر فيدعون من مكان سحيق أن مقت الله إياكم أو أنفسكم الأمّارة بالسوء إذ تدعون في الدنيا من جهة الأنبياء فلا تصيخون للسمع ، ولا تبالون بالنصح والارشاد ، سادرين في مطاوعة أهوائكم الجموح .

(قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) قالوا فعل وفاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأمتنا فعل ماض والتاء فاعل ونا ضمير متصل في نصب مفعول به واثنتين مفعول مطلق ناب عن المصدر أي إماتتين اثنتين وكذلك وأحييتنا اثنتين ، واعترفنا فعل وفاعل وبذنوبنا متعلقان باعترفنا ، فهل الفاء عاطفة وهل حرف استفهام والى خروج خبر مقدم ومن حرف جر زائد وسبيل مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر . (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) ذلكم مبتدأ والاشارة الى العذاب وبأنه خبر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعي في محل جر بإضافة الظرف إليها والله نائب فاعل ووحده حال وجملة كفرتم لا محل لها لأنها جواب إذا وجملة الشرط

وجوابه خبر أنه والمراد كفرتم بالتوحيد . (وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) الواو عاطفة وإن شرطية ويشرك فعل الشرط مجزوم وهو فعل مضارع مبني للمجهول وبه سد مسد نائب الفاعل وتؤمنوا جواب الشرط والفاء عاطفة لأن هذا الكلام من جملة ما يقال لهم في الآخرة والحكم مبتدأ ولله خبره والعلي الكبير صفتان .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل :

في قوله « ربنا أمتنا اثنتين » مجاز مرسل لأن المراد بالميتتين الاثنتين خلقهم أمواتاً أولاً واماتتهم عند انقضاء آجالهم ثانياً والمراد بالإحياءتين الاحياءة الأولى واحياءة البعث وقد أوضح سبحانه ذلك بقوله : « وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ففي تسمية خلقهم أمواتاً إماتة مجاز لأنه باعتبار ما كان ، وقد أوضح ذلك الزمخشري أبلغ إيضاح في فصله الممتع بهذا الصدد تنقله بنصه لنفاسته قال : « فإن قلت كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتاً إماتة ، قلت : كما صح أن تقول : سبحان من صغر حجم البعوضة وكبر حجم الفيل ، وقولك للحفار ضيّق فم الركية ووسّع أسفلها وليس ثم نقل من صغر الى كبر ولا عكسه ولا من ضيق الى سعة ولا عكسه وإنما أرد الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الكبر والصغر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه منه كنقله منه » .

٢ ـ الاستفهام بمعنى اليأس :

وفي قوله « فهل الى خروج من سبيل » في هذا الاستفهام يأس مقنط واستحالة مفرطة كأنهم لفرط ما يكابدونه يتمنون الخروج من هذا الأسى المطبق من الهول المستحكم ولكن أي تمنٍ ؟ إنه تمني من غلب عليه اليأس والقنوط وتنكير خروج للدلالة على أي خروج كان سواء أكان سريعاً أم بطيئاً ، وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله «ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم» ومعناه أن السبب يعود إلى كفركم فلا تطمعوا في زوال ما أنتم فيه لأنه جريرتكم وعلى أنفسكم تقع الملامة وقد تعلق الشعراء بأهداب هذا التعبير البديع فقال بعضهم :

هل الى نجد وصول وعلى الخيف نزول

وقصدهم أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع وحيل بين المتمني وما يتمناه .

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ

لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾

اللغــة :

(الآزفة) : القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربهـا من أزف الرحيل أي قرب وفي المصباح : « أزف الرحيـل أزفاً من باب تعب وأزوفاً دنا وقرب وأزفت الآزفة القيامة » وفي الأساس : أزف الرحيل: دنا وعجل ومنه أقبل يمشي الأزفى بوزن الجمزى وكأنه من الوزيف والهمـزة عن واو ، وساءني أزوف رحيلهـم وأزَف رحيلهم •••• والآزفة القيامة لأزوفها • قال هدبة :

وبادرهـا مَصْرَ العشيّة قَرْمهـا
ذَرِ البيـت يغشـاه من القـرِّ آزف

(الحناجر) : في المختار : « والحنجرة بالفتح والحنجور بالضم الحلقوم » وفي القاموس : « والحُنجور السفط الصغـير وقارورة للذريرة والحلقوم كالحنجرة والحناجر جمعه » •

الاعراب :

(هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً)كلام مستأنف مسوق للتدليل عـلى أن الحكم له سبحانه وهو مبتدأ والـذي خبر وجملة يريكم صلة وآياته مفعول به وينزل لكم عطف على يريكم ومن

السماء متعلقان بينزل للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل وديمومتهما واستمرارهما .(وما يتذكر إلا من ينيب) الواو عاطفة وما نافية ويتذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر ومن فاعل وجملة ينيب صلة .(فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر فادعوا ، ولفظ الجلالة مفعول به ومخلصين حال وله جار ومجرور متعلقان بمخلصين والدين مفعول به والوو حالية ولو شرطية وكره الكافرون فعل وفاعل والمفعول به محذوف أي إخلاصكم أو دعوتكم . (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) رفيع الدرجات خبر لمبتدأ محذوف و ذو العرش خبر ثان وجملة يلقي الروح خبر ثالث أي الله ومن أمره متعلقان بيلقي أو بمحذوف حال من الروح أي الوحي أي حال كونه ناشئاً من أمره والمراد بالروح الوحي وسيأتي السبب في تسميته بذلك في باب البلاغة وعلى من متعلقان بيلقي وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ، ولينذر اللام للتعليل وينذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بيلقي وفاعل ينذر يجوز أن يكون الله أو الروح أو من يشاء ويوم مفعول به لينذر والتلاق مضاف اليه وحذفت الياء اتباعاً لرسم المصحف وقرىء بإثباتها وسمي يوم القيامة بيوم التلاق لأن الخلائق تلتقي فيه .

(يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) يوم بدل من يوم التلاق بدل كل من كل وهم مبتدأ وبارزون خبر والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف اليها فحركة يوم حركة اعراب على المشهور وسيأتي تقرير ذلك في باب الفوائد وجملة لا يخفى حال من ضمير بارزون أو خبر ثان وقيل هي مستأنفة ورجح الزمخشري الحالية

ولعله على صواب وعلى الله متعلقان بيخفى ومنهم حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء وشيء فاعل يخفى . (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به فالجملة مقول قول محذوف أي يقوله تعالى ويجيب نفسه والقول معطوف على ما قبله أو مستأنف في جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك . ولمن خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف متعلق بالملك ولله خبر لمبتدأ محذوف تقديره الملك لله والواحد القهار نعتان لله وقال الزمخشري : « ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار » .

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الظرف متعلق بتجزى والكلام تتمة للمقول وتجزى فعل مضارع مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وبما متعلقان بتجزى وما موصولة أو ظرفية . (لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) لا نافية للجنس وظلم اسمها المبني على الفتح واليوم ظرف متعلق بمحذوف خبر وإن واسمها وخبرها والجملة تعليل لعدم الظلم أي أنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب فهو سريع في حسابه عادل في حكمه . (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) الواو عاطفة على ما تقدم وأنذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أول ويوم الآزفة مفعول به ثان وإذ بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ ولدى الحناجر ظرف متعلق بمحذوف خبر والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها وكاظمين حال من القلوب وعوملت الحناجر في جمعها بالياء والنون معاملة أصحابها وسيأتي تقرير الزمخشري في باب البلاغة . (ما للظالمين من حميم ولا شفيع

يطاع) الجملة حال من أصحاب القلوب وما نافية حجازية أو مهملة وللظالمين خبر مقدم ومن حرف جر زائد وحميم اسم ما المؤخر أو مبتدأ ولا شفيع عطف على حميم وجملة يطاع صفة لشفيع وفي الكلام مجاز سيأتي تفصيله في باب البلاغة .

البلاغة :

١ ــ في قوله « يلقي الروح من أمره » مجاز مرسل لأن المراد بالروح الوحي وسمي الوحي روحاً لأنه يجري من القلوب مجرى الأرواح من الأجساد فهو مجاز مرسل علاقته السببية وجعله الزمخشري استعارة تصريحية وليس ببعيد .

٢ ــ التمثيل :

وفي قوله « إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين » استعارة تمثيلية لتجسيد الهول في ذلك اليوم الذي تكون فيه مشارفتهم للنار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ويستريحوا ولا هي ترجع إلى مواطنها فيتنفسوا الصعداء ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا .

٣ ــ عكس الظاهر :

وفي قوله « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » عكس الظاهر وقد تقدم ذكر هذا الفن أكثر من مرة إذ لا شفيع لهم أصلاً فضلاً عن أن يكون مطاعاً .

٤ ــ قول الزمخشري في كاظمين :

وقال الزمخشري : « فإن قلت : بم انتصب كاظمين ؟ قلت : هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى: « رأيتهم لي ساجدين » وقال : فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

الفوائد :

إضافة الزمان الى الجمل :

يجوز في الزمان إذا أضيف الى جملة الإعراب على الأصل والبناء فإن كان ما وليه فعلاً مبنياً فالبناء أرجح للتناسب أو لشبه الظرف حينئذ بحرف الشرط في جعل الجملة التي تليه مفتقرة إليه والى غيره كقول النابغة الذبياني :

على حين عاتبت المشيب على الصبا
وقلت : ألما أصح والشيب وازع

يروى على حين بالخفض على الاعراب وعلى حين بالفتح على البناء وهو الأرجح لكونه مضافاً الى مبني أصالة وهو عاتبت وقد يكون البناء حالة عارضة فيجزي الأمر كذلك كقوله :

لأجتذبن منهن قلبي تحلماً ... على حين يستصبين كل حليم

يروى بخفض حين على الاعراب وفتحه على البناء لكونه مضافاً الى مبني وهو يستصبين فإنه مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون الإناث وماضيه استصبيت فلاناً إذا جعلته في عداد الصبيان وإن كان ما وليه فعلاً مضارعاً معرباً أو جملة اسمية فالإعراب أرجح من البناء وهو واجب عند البصريين لعدم التناسب وإنما قلنا بأرجحية الاعراب لأن نافعاً وهو من كبار القراء قرأ « هذا يوم ينفع » بالفتح على البناء لا على الاعراب وأجاب جمهور البصريين بأن الفتحة فيه ليست فتحة بناء وإنما هي فتحة إعراب مثلها في صمت يوم الخميس والتزموا لأجل ذلك أن تكون الاشارة ليست لليوم وإلا لزم كون الشيء ظرفاً لنفسه ولهذا قال الفارسي وابن مالك بأرجحية الاعراب ، قال في الخلاصة :

وقبل فعل معرب أو مبتدا   أعرب ومن بنى فلن يفندا

يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ (١٩) وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (٢٠) * أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢٢)

الاعراب :

(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) الجملة خبر رابع للمبتدأ المحذوف الذي أخبر برفيع الدرجات وما بعده أو هو خبر من أخبار هو الذي يريكم أو هي في محل نصب على الحال أو هي تعليلية لا محل لها • ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره هو أي الله تعالى وخائنة الأعين مفعول به والإضافة بمعنى من أي الخائنة من الأعين فعلى هذا تكون خائنة نعت لمحذوف أي العين الخائنة ويجوز أن تكون الخائنة مصدراً كالعاقبة والكاذبة أي يعلم خيانة الأعين ، وسيأتي مزيد بحث عن هذا التعبير في باب البلاغة ، والواو حرف عطف وما عطف على خائنة الأعين وجملة تخفي الصدور صلة ما • (والله يقضي بالحق) الواو حرف عطف والله مبتدأ وجملة يقضي بالحق خبره وبالحق متعلقان بيقضي أو بمحذوف حال أي ملتبساً به • (والذين يدعون من دونه لايقضون بشيء إن الله هو السميع البصير) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة يدعون صلة ومن دونه متعلقان بيدعون والعائد محذوف أي يدعونهم من دونه بمعنى يعبدونهم وجملة لا يقضون بشيء خبر الذين وان واسمها وهو مبتدأ أو ضمير فصل والسميع البصير خبران لهو أو لإن •

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) الهمزة للاستفهام الانكاري أنكر عليهم عدم الاعتبار بأحوال غيرهم والواو عاطفة على مقدر يقتضيه المقام أي أغفلوا ولم يسيروا ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم وفي الأرض متعلقان بيسيروا ، فينظروا الفاء سببية أو عاطفة وينظروا

منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية أو مجزوم عطف عـلى يسيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقـدم لكان وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على المفعولية لينظروا وجملة كانوا صلة الذين ومن قبلهم خبر كانوا • (كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض) كان واسمها وهم ضمير فصل لا محل له وأشد خبرها وساغ دخول ضمير الفصل بين معرفة ونكرة وهو لا يقع إلا بين معرفتين لأن النكرة هنا ــ وهي أشد ــ بمثابة المعرفة من حيث امتناع دخول أل عليها لأن اسم التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل ومنهم متعلقان بأشد وقوة تمييز وآثاراً عطف على قوة وفي الأرض صفة لآثاراً وجعله الزمخشري منصوباً بمقدر أي أكثر آثاراً على حد قوله « متقلداً سيفاً ورمحاً » (فأخذهم الله بذنوبهم وما كـان لهم من الله من واق) الفاء عاطفـة وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل وبذنوبهم متعلقان بأخذهم والباء للسببية أي بسبب ذنوبهم والواو حرف عطف وما نافية وكان فعـل ماض ناقص ولهم خبرها المقدم ومن الله متعلقان بواق ومن حرف جر زائد وواق مجرور لفظاً مرفوع محلاً عـلى أنه اسم كان المؤخر •

(ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله) ذلك مبتدأ والاشارة للأخذ والباء حرف جر للسببية وأن ومدخولها في محـل جر بالباء والجار والمجرور خبر ذلك وأن واسمها وجملة تأتيهم خبر كانت واسمها مستتر تقديره هي ورسلهم فاعـل تأتيهم وبالبينات متعلقان بتأتيهم ، فكفروا عطف على تأتيهم ، فأخـذهم الله عطف على قوله فكفروا •

(إنه قوي شديد العقاب) تعليل للأخـذ وان واسمها وقوي خبر أول وشديد العقاب خبر ثان •

البلاغــة :

فن الفرائد :

في قولــه « يعلم خائنة الأعــين » فن الفرائد وهو من فنون البديع والمختص بالفصاحة دون البلاغة لأنه عبارة عن إتيان المتكلم في كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حب العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على جزالة منطقه ، وعظم فصاحته ، وقوة عارضته ، وأصالة عربية بحيث تكون هذه اللفظة لو سقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها وهي كثيرة في القرآن وقد مر الكثير منها وهي هنا في لفظة « خائنة » فإنها بمفردها سهلة مستساغة كثيرة الجريان على الألسن فلما أضيفت الى الأعــين حصــل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هــذا الوقع بحيث لا يتــاح الاتيــان بمثلها ولا يكاد يقع ذو فكر سليم وذهن مستقيم على شبهها ، وقد شغلت هذه الكلمة كبار العلماء وأرباب الفصاحة وسنورد أقوالاً منها ، فقال ابن عباس : « هو الرجــل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها » وقال مجاهد : « هي مسارقة نظر الأعين الى ما قد نهى الله عنه » وقال الضحاك « هي قول الانسان ما رأيت وقد رأى » وقــال السدي : « إنه الرمز بالعين » وقــال سفيان : « هو النظرة بعد النظرة » وقال الفراء : « خائنة الأعين هي النظرة الثانية وما تخفي الصــدور النظرة الأولى » وقــال ابن عباس :« وما تخفي الصدور أي هل يزني بها لو خــلا بهــا أو لا » وقيل « وما تخفي الصدور تكنّه وتضمره » .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)

الاعراب :

(ولقـد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة موسى مع فرعون واللام جواب القسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل وموسى مفعول به وبآياتنا متعلقان بأرسلنا وسلطان عطف على بآياتنا ومبين نعت ، ولك أن تعلق بآياتنا بمحذوف حال أي ملتبساً بآياتنا ولعله أولى . (إلى فرعون وهامان وقارون فقالـوا : ساحر كـذاب) إلى فرعون متعلقان بأرسلنا وهامان وقارون عطف على فرعون ، فقالوا عطف على أرسلنا وساحر كذاب خبران لمبتدأ محذوف أي هو ساحر كذاب . (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة

حرفية وجاءهم فعل ومفعول به وفاعل مستتر وبالحق متعلقان بجاءهم ومن عندنا متعلقان بمحذوف حال وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما واقتلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول القول وأبناء الذين مفعول به وجملة آمنوا صلة ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا واستحيوا عطف على اقتلوا أي استبقوا ونساءهم مفعول به .

(وما كيد الكافرين إلا في ضلال) الواو حالية وما نافية وكيد الكافرين مبتدأ وإلا أداة حصر وفي ضلال خبر كيد . (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه) الواو عاطفة وقال فرعون فعل ماض وفاعل وذروني فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وأقتل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعل مستتر تقديره أنا يعوذ على القائل وهو فرعون لأن قومه كانوا يكفونه عن قتله تهويناً لأمره واستصغاراً لشأنه ، وليدع الواو عاطفة واللام لام الأمر ويدع فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والمقصود بالأمر هنا التعجيز بزعمه وربه مفعول به . (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) الجملة تعليل لمطالبته بقتل موسى وإن واسمها وأن وما في حيزها مفعول أخاف وأن حرف مصدري ونصب ويبدل فعل مضارع منصوب بأن ودينكم مفعول به وأو حرف عطف وأن يظهر عطف على أن يبدل وفي الأرض متعلقان بيظهر والفساد مفعول يظهر . (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) الواو عاطفة وقال موسى فعل وفاعل وان واسمها وجملة عذت خبرها والجملة مقول القول ومن كل متكبر متعلقان بعذت وجملة لا يؤمن نعت لمتكبر وبيوم الحساب متعلقان بيؤمن .

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) كلام مستأنف مسوق لإيراد الحل الملائم للعقدة القصصية بعد أن عاذ موسى بربه ليكفيه شر هذا اللعين • وقال رجل فعل ماض وفاعل ومؤمن نعت لرجل ومن آل فرعون نعت ثان إن كان الرجل قبطياً والتقدير وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون وإن كان الرجل إسرائيلياً فمن متعلقة بيكتم في موضع المفعول الثاني ليكتم والأول أرجح ، وجملة يكتم إيمانه صفة ثالثة لرجل وسيأتي مزيد بحث عن هذا الرجل والإعراب في باب الفوائد • (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) الهمزة للاستفهام الانكاري وتقتلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ورجلاً مفعول به وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي لأجل هذا القول من غير روية وتدبر وتأمل ، وأجاز الزمخشري أن يكون ظرفاً على تقدير مضاف أي وقت أن يقول ، ورد المعربون ذلك بأنه لا يجوز أن يطرد

هذا التقدير في المصدر المؤول ، قالوا : إن ذلك إنما يكون مع المصدر المصرح به نحو جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم لامع المقدر فلا تقول أجيئك أن يصيح الديك تريد وقت صياحه ، وسيرد مزيد بحث في هذا الموضوع في باب الفوائد • وربي مبتدأ والله خبره أو بالعكس والجملة مقول القول والواو حالية وقد حرف تحقيق وجاءكم فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وبالبينات متعلقان بجاءكم ومن ربكم في موضع نصب على الحال •

(وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم) الواو عاطفة وإن شرطية ويك فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسمها ضمير مستتر تقديره هو وكاذباً خبرها ، فعليه الفاء رابطة لجواب الشرط وعليه خبر مقدم وكذبه مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط وجملة إن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم عطف على الجملة السابقة ، وبعض فاعل يصيبكم وجملة يعدكم صلة • (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) ان واسمها وجملة لا يهدي خبرها ومن مفعول به وهو مبتدأ ومسرف خبر وكذاب خبر ثان والجملة صلة من • (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) هذا من تتمة كلام الرجل المؤمن ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ولكم خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف متعلق بما تعلق به الخبر وظاهرين حال من الضمير في لكم وفي الأرض متعلقان بظاهرين أي غالبين في الأرض •

(فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) الفاء الفصيحة ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة ينصرنا خبر ومن بأس الله متعلقان بينصرنا وإن

شرطية وجاءنا فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فمن ينصرنا وفاعل جاءنا يعود على بأس الله . (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) قال فرعون فعل وفاعل وما نافية وأريكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وإلا أداة حصر وما اسم موصول مفعول أريكم وجملة أرى صلة الموصول أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي ولا أعلمكم إلا ما علمت . (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) عطف على ما تقدم وسبيل الرشاد مفعول ثان لأهديكم أو نصب بنزع الخافض .

البلاغة :

الكلام المنصف :

في قوله تعالى : « أتقتلون رجلاً أن يقول ... الآية » الكلام المنصف وقد استوفاه الزمخشري في تحليله الممتع وسنلخص ما قاله مع تعليق يقتضيه المقام: فقد استدرجهم هذا الرجل المؤمن باستشهاده على صدق موسى عليه السلام من عند من تنسب اليه الربوبية ببينات عدة لا ببينة واحدة وأتى بها معرفة ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقاً أو كاذباً فإن يك كاذباً فضرر كذبه عائد عليه أو صادقاً فأنتم مستهدفون لإصابتكم ببعض ما يعدكم به وإنما ذكر بعض مع تقدير أنه نبي صادق والنبي صادق في جميع ما يعد به لأنه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم وأدخل في تصديقهم له ليسمعوا منه ، فهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام

ليريهم أنه لم يتكلم كلام المتعصب له ، المتحيز الى جانبه وكذلك قدم الكاذب على الصادق لهذا الغرض ، ويشبه موقف هذا الرجل المؤمن إلى حد بعيد موقف أبي بكر فقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا ؟ فقال عليه السلام : أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه •

الفوائد :

قد يجعل المصدر ظرفاً :

قد يجعل المصدر حيناً لسعة الكلام فيقال كان ذلك مقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى مغيبه وخلافة فلان وصلاة العصر ومنه سير عليه ترويحتين وانتظر به نحر جزورين وقوله تعالى وادبار النجوم، وإنما يفعلون ذلك توسعاً وإيجازاً : فالتوسع بجعل المصدر حيناً وليس من أسماء الزمان ، والإيجاز الاختصار بحذف المضاف إذ التقدير في قولك خفوق النجم وصلاة العصر وقت خفوق النجم ووقت صلاة العصر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، واختص هذا التوسع بالأحداث لأنها منقضية كالأزمنة وليست ثابتة كالأعيان فجاز جعل وجودها وانقضائها أوقاتاً للأفعال وظروفاً لها كأسماء الزمان ؛ ومعنى سير عليه ترويحتين زمن ترويحتين ومعنى وانتظر به نحر جزورين أي زمن نحر جزورين والمراد مدة هذا الزمن، والترويحتين تثنية الترويحة واحدة التراويح في الصلاة يقال صلى ترويحتين وصلى خمس ترويحات

وهي أزمنة موقتة تقع في جواب متى من حيث هي موقتة فيقال متى سير عليه فيقال خفوق النجم ومقـدم الحاج وصلاة العصر وتقع في جواب كم من حيث كانت مدة معلومة فإذا قيل كم سير عليه جاز أن يكون جوابه مقدم الحاج وخلافة فلان إن شئت رفعته بفعل ما لم يسم فاعله وإن شئت نصبته على الظرف كل ذلك عربي جيد ، فأما قوله : « وادبار النجوم » قرىء بكسر الهمزة وفتحها فمن كسر كانت مصدراً جعل حيناً توسعاً فهو من باب خفوق النجم ومقدم الحاج ومن فتح الهمزة كانت جمع دبر على حد قفل وأقفال أو دبر على طنب وأطناب وقد استعمل ذلك ظرفاً كقولك : جئتك في دبر كل صلاة وفي أدبار الصلوات ، قال الشاعر :

على دُبُر الشهر الحـــرام بأرضنا

وما حولهـا جدّتْ عليه سِنون تلمّع

فقراءة من كسر الهمزة أدخـل في الظرفية في قراءة من فتـح ولذلك يقل ظهور في مع المكسورة بخلاف من فتح •

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن

يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

الاعراب :

(وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) الواو عاطفة وقال الذي آمن فعل ماض وفاعل وجملة آمن صلة وهو الذي قال : أتقتلون رجلاً الخ • ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وان واسمها وجملة أخاف خبر وعليكم متعلقان بأخاف ومثل مفعول به ويوم الأحزاب مضاف اليه • (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) مثل عطف بيان أو بدل لمثل الأول ودأب مضاف إليه ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي مثل جزاء وعادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا وما بعده عطف عليه ومن بعدهم صلة الموصول • (وما الله يريد ظلماً للعباد) الواو عاطفة وما نافية حجازية ولفظ الجلالة اسمها وجملة يريد خبرها وظلماً مفعول به والعباد نعت لظلماً يعني أن تدميرهم كان استحقاقاً بما اجترحوه واقترفوه من آثام • (وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد) عطف على إني أخاف ويوم التناد مفعول أخاف وهو يوم القيامة والتناد بحذف الياء وإثباتها في كل من الوصل والوقف وذلك لفظاً أما خطاً فهي محذوفة وقد تقدم في الأعراف أنه يكثر في ذلك اليوم العصيب نداء أصحاب الجنة النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها •

(يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد) يوم بدل من يوم الأول وجملة تولون في محل جر بإضافة الظرف اليها ومدبرين حال وما نافية حجازية ولكم خبرها المقدم ومن الله متعلقان بعاصم ومن حرف جر زائد وعاصم اسم ما والجملة في محل نصب على الحال ولك أن تهمل ما لتقدم خبرها ومن يضلل الله فما له من هاد تقدم إعرابها بنصها قريباً فجدد به عهداً . (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) كلام معطوف على ما تقدم لأنه من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكّرهم بعتو آبائهم على الأنبياء وقيل هو من كلام موسى فيكون مستأنفاً . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجاءكم يوسف فعل ماض ومفعول به وفاعل ومن قبل متعلقان بمحذوف حال أي من قبل موسى فبناء الظرف على الضم لأن المضاف اليه منوي معناه وبالبينات متعلقان بجاءكم .

(فما زلتم في شك مما جاءكم به) الفاء عاطفة وما زلتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وفي شك خبرها ومما صفة لشك وجملة جاءكم صلة وبه متعلقان بجاءكم . (حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً) حتى حرف غاية لقوله ما زلتم وإذا ظرف متضمن معنى الشرط وجملة هلك في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة قلتم لا محل لها لأنها جواب إذ ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويبعث فعل مضارع منصوب بلن ولفظ الجلالة فاعل ومن بعده حال ورسولاً مفعول به . (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) كذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً ويضلل الله فعل مضارع وفاعل ومن مفعول به وهو مبتدأ ومسرف مرتاب خبران له والجملة الاسمية صلة . (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر

مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) هذه الآية شغلت المعربين كثيراً وتشعبت أقوالهم فيها وأوصل السمين أوجه الاعراب فيها إلى عشرة مما يضيع القارىء في متاهاته ولعل أَولاها بالذكر وأقربها الى المعقول ما ذكره أبو حيان قال ما نصه : « والأَولى في إعراب هذا الكلام أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم الى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وأبرز ذلك في صورة تذكرهم فلم يخصنهم بالخطاب وفي قوله كبر ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم » .

ونورد فيما يلي الاعراب الذي اختاره الزمخشري، قال : « الذين يجادلون بدل من مَن هو مسرف ، فإن قلت : كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد ؟ قلت لأنه لا يريد مسرفاً واحداً فكأنه قال : كلّ مسرف وجاز إبداله على معنى من لا على لفظها فإن قلت فما فاعل كبر ؟ قلت : ضمير من هو مسرف ، فإن قلت : أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون ؟ قلت : بل هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ، ويجوز أن نرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتاً ، ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبراً وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتاً مثل ذلك الجدال ويطبع الله

كلام مستأنف ومن قال كبر مقتاً عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه » •

أما أبو البقاء فقد قال ما نصه : « الذين يجادلون فيه أوجه أحدها أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين وهم يرجع على قوله من هو مسرف لأنه في معنى الجمع والثاني أن يكون مبتدأ والخبر يطبع الله والعائد محذوف أي على كل قلب متكبر منهم وكذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وما بينهما معترض مسدد والثالث أن يكون الخبر كبر مقتاً أي كبر قولهم مقتاً ؛ والرابع أن يكون الخبر محذوفاً أي معاندون ونحو ذلك والخامس أن يكون منصوباً بإضمار أعني » هذا وسنورد في باب الفوائد مناقشة سريعة لهذه الأقوال •

هذا ومقتاً تمييز محول عن الفاعل أي كبر مقت جدالهم وفيما يلي عبارة السمين : « كبر مقتاً يحتمل أن يراد به التعجب والاستعظام وأن يراد به الذم كبئس وذلك أنه يجوز أن يبني فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الأحكام وفي فاعله ستة أوجه » الى أن يقول : « الثاني أنه يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم » الى أن يقول : « الخامس أن الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو التمييز نحو نعم رجلاً زيد وبئس غلاماً عمرو وعند الله ظرف لكبر » وكذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الطبع ويطبع الله فعل مضارع وفاعل وعلى كل قلب متعلق بيطبع وقلب مضاف ومتكبر مضاف إليه أي على كل قلب شخص متكبر وجبار نعت ثان •

الفوائـد :

١ ــ مناقشة قيمة :

ذكر الزمخشري أن « من » في « من هو مسرف » عوملت معاملة لفظها من بعد معاملة معناها وقد استغرب أهل العربية هذا لأن فيه إبهاماً بعد إيضاح وهذا غير لائق ببيان القرآن لأن البلاغيين يرون العكس والصواب أن يجعل الضمير في قوله كبر راجعاً الى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالهم مقتاً ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون في آيات الله والضمير في قوله كبر مقتاً عائد الى الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى :«أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله » على أحد تأويله ومثله كثير •

٢ ــ كل قلب :

كل لعموم الضلال جمع القلب لا لعموم القلوب أي شملت الضلالة جميع أجزاء القلب فلم يبق فيه محل للاهتداء والمعروف أن كلاً إذا دخلت على نكرة مطلقاً أو على معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء وهنا عوملت الإضافة غير المحضة معاملة الإضافة المحضة •

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ

سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

اللغـــة :

(صرحاً) : الصرح ــ كمـا في المصباح ــ بيت واحد يبنى مفرداً طولاً ضخماً ، وقال في الكشاف : « الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد ، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر وهذه المادة عجيبة في مدلولهـا ؛ إنها تدل في جميع مشتقاتها عـلى الظهور

والإبانة ، قالوا : لبن صريح : ذهبت رغوته وخلص وعربي صريح من عرب صرحاء : غير هجناء ونسب صريح وكأس صُراح : لم تمزج وصرّحت الخمرة : ذهب عنها الزبد ولقيته مصارحة: مجاهرة وصرّح النهار : ذهب سحابه وأضاءت شمسه قال الطرماح في وصف ذئب :

إذا امتلّ يعـــدو قلت ظـــلّ طخاءة

ذرى الريح في أعقـــاب يوم مصـــرح

وصرح بما في نفسه وبني صرحاً وصروحاً وقعـد في صَرْحة داره : في ساحتها .

(الأسباب) : جمع سبب وأسباب السموات مراقيها أو نواحيها أو أبوابها والسبب أيضاً الحبل وما يتوصل به الى غـيره وقد جمع زهير بينهما بقوله :

ومن هـــاب أسباب المنايـا ينلنـــه

وإن يرق أسباب السمـــاء بســـلم

والسبب أيضاً من مقطعات الشعر حرف متحرك وحرف ساكن أو حرفان متحركان والأول يسمى خفيفاً والثاني ثقيلاً » .

(تبـاب) : خسار وهـوان وفي القاموس « التَبّ والتَّبب والتّباب والتبيب والتتبيب : النقص والخسار وتبّاً له ، وتبّاً تبيباً مبالغـة » .

(لا جرم) : تقـدم بحثها وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد .

الاعراب :

(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلـغ الأسباب) الواو عاطفة وقال فرعون فعل وفاعل ويا حرف نداء وهامان منادى مفرد مبني على الضم وابن فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مقول قول فرعون ولي متعلقان بمحذوف حال أو بابن وصرحاً مفعول به ولعل واسمها وجملة أبلغ الأسباب خبر لعل . (أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) أسباب السموات بدل من الأسباب بدل كل من كل وفائدة البدل أن الشيء إذا أبهم ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه وهذا هو مراد فرعون ، فأطلع الفاء فاء السببية وأطلع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية جواباً للأمر وهو ابن أو جواباً للترجي وهو لعلي أبلـغ وقرىء بالرفع على أن الفاء عاطفة فهو داخل في حيز الترجي وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد والى إله موسى متعلقان بأطلع واني الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة وأظنه فعل مضارع والهاء مفعول به أول وكاذباً مفعول به ثان والجملة خبر إن .

(وكذلك زُيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل) الكاف نعت لمصدر محذوف وزين فعل ماض مبني للمجهول ولفرعون متعلقان بزين وسوء عمله نائب فاعل وصدّ عطف على زين وصد فعل ماض مبني للمجهول بضم الصاد وفتحها وكلتا القراءتين سبعية وعن السبيل متعلقان بصد . (وما كيد فرعون إلا في تباب) الواو عاطفة أو حالية وما نافية وكيد فرعون مبتـدأ وإلا أداة حصر وفي تباب خبر كيد . (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) عطف عـلى

ما تقدم وقال الذي فعل ماض وفاعل وجملة آمن صلة وياقوم نداء تقدم إعرابه واتبعون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية وياء المتكلم المحذوفة لأنها من ياءات الزوائد في محل نصب مفعول واهدكم فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وسبيل الرشاد مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض والرشاد اسم للمصدر لرشد .

(يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) سيأتي في باب البلاغة سر تكرير النداء واقترانه بالواو في النداء الثالث كما سيأتي . وإنما كافة ومكفوفة وهذه مبتدأ والحياة بدل والدنيا نعت ومتاع خبر وان الآخرة إن واسمها وهي ضمير فصل أو مبتدأ ودار القرار خبر إن أو خبر هي والجملة خبر إن . (من عمل سيئة فلا يُجزى إلا مثلها) من اسم شرط جازم مبتدأ وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وسيئة مفعول به والفاء رابطة ولا نافية ويجزى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وإلا أداة حصر ومثلها مفعول يجزى الثاني . (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ وعمل فعل ماض فعل الشرط وصالحاً مفعول به أو نعت لمصدر محذوف أي عملاً صالحاً ومن ذكر حال أو أنثى عطف على من ذكر ، وهو مؤمن الواو للحال و هو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة نصب على الحال .

(فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) الفاء رابطة وأولئك اسم إشارة مبتدأ وجملة يدخلون الجنة خبر أولئك والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملة يرزقون حال والواو نائب فاعل

وفيها حال وبغير نعت للمفعول به المحذوف أي يرزقون رزقاً واسعاً بلا حساب ولا تبعة . (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) عطف على ما تقدم وما اسم استفهام مبتدأ ولي خبره وجملة أدعوكم حالية والى النجاة متعلقان بأدعوكم وتدعونني الى النار عطف على أدعوكم الى النجاة . (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) جملة تدعونني بدل وجملة وتدعونني بمثابة التعليل ولأكفر اللام للتعليل وأكفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره أنا وبالله متعلقان بأكفر وأشرك عطف على لأكفر وما مفعول به وجملة ليس لي به علم صلة وليس فعل ماض ناقص ولي خبرها المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر .

(وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الواو عاطفة وأنا مبتدأ وجملة أدعوكم خبر وإلى العزيز الغفار متعلقان بأدعوكم . (لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) لا نافية وجرم فعل ماض بمعنى حق ووجب وأن وما في حيزها فاعل جرم أي حق ووجب بطلان دعوته وأن واسمها وحقها أن تكتب مفصولة لأن ما اسم موصول بمعنى الذي لكنها رسمت موصولة اتباعاً لسنة المصحف وجملة تدعونني صلة وإليه متعلقان بتدعونني وجملة ليس خبر أن وله خبر ليس المقدم ودعوة اسمها المؤخر وفي الدنيا نعت ولا في الآخرة عطف على في الدنيا . (وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) عطف على ما تقدم وأن واسمها والى الله خبرها وان المسرفين عطف أيضاً وهم ضمير فصل لا محل له أو مبتدأ وأصحاب النار خبر أن أو خبر هم والجملة خبر أن . (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله)

الفاء الفصيحة والسين حرف استقبال وتذكرون فعل مضارع والواو فاعل وما مفعول به وجملة أقول صلة ولكم متعلقان بأقول وأفوض عطف وأمري مفعول به والى الله متعلقان بأفوض أي إذا نزل بكم العذاب .

(إن الله بصير بالعباد) إن واسمها وبصير خبرها وبالعباد جار ومجرور متعلقان ببصير . (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي لما توعدوه بالقتل وقصدوه به فعلاً هرب منهم ولاذ بالمغاور وشعاب الجبال فطلبوه فلم يقدروا عليه فوقاه الله . ووقاه الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وسيئات مفعول به ثان أو نصب بنزع الخافض وما مصدرية أو موصولة أي سيئات مكرهم به أو سيئات الذي مكروا به وحاق فعل ماض وبآل فرعون متعلقان بحاق وسوء العذاب فاعل . (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) النار خبر مبتدأ محذوف أي هو أي سوء العذاب ويجوز أن تعرب بدلاً من سوء العذاب ويجوز أن تعرب مبتدأ وجملة يعرضون خبر وعلى الوجهين الأولين تعرب جملة يعرضون حالاً وقرىء النار بالنصب على الاختصاص بفعل محذوف وعليها متعلقان بيعرضون وغدواً وعشياً ظرفان متعلقان بيعرضون أيضاً .

(ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) الظرف متعلق بقول محذوف أي يقال لهم يوم تقوم الساعة وجملة أدخلوا مقول القول ويجوز أن يتعلق بأدخلوا أي ادخلوا يوم تقوم الساعة وعلى هذين الوجهين يكون الوقف تاماً على قوله وعشياً ويجوز أن يكون معطوفاً على الظرفين قبله فيكون متعلقاً بيعرضون والوقف

على هذا الوجه على قوله الساعة وادخلوا مقول قول مقدر أي يقال لهم كذا وكذا وأدخلوا فعل أمر من أدخل وآل فرعون مفعول به أول وأشد العذاب مفعول به ثان وقرىء أدخلوا بهمزة الوصل من دخل يدخل فآل فرعون حينئذ منادى حذف منه حرف النداء وأشد العذاب مفعول به .

البلاغة :

في تكرير نداء قومه مبالغة في التنبيه والتحدي وقرع العصا وإمحاض النصيحة والإيقاظ من سنة الغفلة ، كأنما عز عليه أن يستهدفوا للمصير المحزن الذي سيصيرون إليه وكأنه مترجح بين التلطف بهم الأن ما يحزنهم يحزنه وما يسوءهم يسوءه فهم قومه على كل حال ، وقد سدروا في متاهات الغفلة وقد سبق تقرير هذا الموقف في مناصحة إبراهيم لأبيه عندما كرر نصيحته إليه متلطفاً بقوله : يا أبت مكرراً .

هذا وقد جيء بالواو في النداء الثالث خلافاً لأن النداء الثاني بمثابة بيان للأول وتفسير له فأعطي حكمه في عدم دخول الواو عليه وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة .

الفوائد :

١ ـ في نصب قوله « فأطلع » ثلاثة أوجه :

أ ـ انه جواب للأمر وهو قوله ابن لي فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه ومثاله في الشعر قول أبي النجم العجلي :

يا ناق سيري عنقاً فسيحا إلى سليمان فنستريحا

ب ـ إنه جواب للترجي والى هـذا نحا الزمخشري قـال : « وقرىء فأطلع بالنصب على أنه جواب الترجي تشبيهاً للترجي بالتمني » •

ج ـ انه معطوف على التوهم لأن خبر لعل كثيراً ما جاء مقروناً بأن في النظم والنثر فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبراً منصوب بأن والعطف على التوهم كثير وان كان غير مقيس •

٢ ـ لا جرم :

بسطنا القـول في هود حول « لا جرم » وأوردنا الأوجـه المستفيضة فيها وقد اخترنا في الإعراب ما ذهب إليه الخليل وسيبويه وجمهور البصريين فتكون « لا » رداً لما دعاه إليه قومه و « جرم » بمعنى كسب أي وكسب دعاؤهم إليه بطلان دعوته أي ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ، ويجوز أن يكون « لا جرم » نظير « لا بد » من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لا بد لك أن تفعل ، والبد من التبديد الذي هو التفريق ومعناه لامفارقة لك من فعل كذا فكذلك « لا جرم » معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هي باطلة أبداً •

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُواْ

رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾

اللغـــة :

(يتحاجّون) : يتخاصمون يقال : حاجّه حِجاجاً ومُحاجّة ومُحاجَة : خاصمه والمِحجاج الكثير الخصومة .

(تبعاً) : جمع تابع كخدم جمع خادم أو هو مصدر وصف به .

(جهنم) سيأتي القول فيها في باب البلاغة .

الاعراب :

(وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للـذين استكبروا) الواو استئنافية وإذ ظرف لما مضى متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وجملة يتحاجون في محل جر بإضافة الظرف إليها وفي النار متعلقان بيتحاجون والفاء تفريعية لتفصيل التحاج والتخاصـم ويقول الضعفاء فعل مضارع وفاعـل وللذين متعلقان بيقول وجملة استكبروا صلة.(إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) إن واسمهـا وجملة كنا خبرها والجملة مقول القول وكان واسمهـا ولكم متعلقان بمحذوف صفة لتبعاً أو متعلقان به إذا اعتبر مصدراً ،

فهل الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومغنون خبره وعنا متعلقان بمغنون ونصيباً مفعول لمغنون أي دافعون عنا نصيباً من النار، وعبارة أبي البقاء « نصيباً منصوب بفعل دل عليه مغنون تقديره : هل أنتم دافعون عنا أو مانعون ويجوز أن يكون في موضع المصدر كما كان شيء كذلك ألا ترى الى قوله تعالى : « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » فشيئاً في موضع غنى فكذلك نصيباً » ومن النار صفة لنصيباً .

(قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها إن الله قد حكم بين العباد) قال الذين فعل ماض وفاعل وجملة استكبروا صلة الذين وإنا إن واسمها وكلٌّ مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم وفيها خبر كل والجملة خبر إن وان واسمها وجملة قد حكم خبر إن وبين العباد ظرف متعلق بحكم . (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) الواو عاطفة وقال الذين فعل ماض وفاعل وفي النار متعلقان بمحذوف صلة الذين ولخزنة جهنم متعلقان بقال ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب البلاغة وادعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وربكم مفعول به والجملة مقول القول ويخفف فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وعنا متعلقان بيخفف ويوماً ظرف متعلق بيخفف أيضاً ومن العذاب صفة لمحذوف هو مفعول يخفف أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم .

(قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟) قالوا فعل وفاعل والضمير يعود لخزنة جهنم والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي

والواو عاطفة على مقدر أي ألم تنتهوا عن هذا ولم تك تأتيكم ، ولم حرف نفي وقلب وجزم وتك فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر وجملة تأتيكم خبر ورسلكم فاعل تأتيكم وقد تنازعه كل من تك وتأتيكم فأعطى فاعلاً للثاني وأضمر في الأول ويجوز العكس وبالبينات متعلقان بتأتيكم (قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) قالوا فعل وفاعل وبلى حرف جواب لإثبات النفي وقالوا فعل وفاعل أيضاً ، فادعوا الفاء الفصيحة وادعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والواو للحال وما نافية ودعاء مبتدأ والكافرين مضاف اليه وإلا أداة حصر وفي ضلال خبر دعاء .

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) تعليل لضياع دعائهم لأنه مسلوب الحجة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة ننصر رسلنا خبر إنا والذين عطف على رسلنا وجملة آمنوا صلة وفي الحياة الدنيا متعلقان بننصر ولا يقدح في هذا التأكيد ما يبدو أنهم يغلبون في بعض الأحيان ابتلاء وامتحاناً فإن العبرة بالعواقب والأمور بخواتيمها ، ويوم يقوم الاشهاد عطف على في الحياة الدنيا أي لننصرنهم في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة وجملة يقوم الاشهاد في محل جر بإضافة الظرف اليها والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب . (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) يوم يدل من يوم قبله وجملة لا ينفع في محل جر بإضافة الظرف اليها والظالمين مفعول به ومعذرتهم فاعل والواو عاطفة ولهم خبر مقدم واللعنة مبتدأ مؤخر ولهم سوء الدار عطف على لهم اللعنة .

البلاغة :

في قوله « لخزنة جهنم » فيه ــ كما قلنا ــ وضع الظاهر موضع المضمر للتهويل ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار غوراً من قولهم بئر جهنام أي بعيدة القعر ، وكان النابغة يسمي الجهنام لبعد غوره في الشعر ، والأول أظهر والتفخيم فيه من وجهين : أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر والثاني ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أفظع منه لأن جهنم أفظع من النار إذ النار مطلقة وجهنم أشدها ، هذا وقد جاء في القاموس ما نصه : « وركية جهنّام مثلثة الجيم وجهنم كعملّس بعيدة القعر وبه سميت جهنم أعاذنا الله تعالى منها » قال شارحه : « قوله وبه سميت جهنم جرى على أنها عربية لم تجر للتأنيث والتعريف وجرى يونس وغيره على أنها أعجمية لا تجري للتعريف والعجمة » وقوله لم تجر بمعنى لم تنصرف وهي عبارة سيبويه واصطلاح البصريين المنصرف وغير المنصرف واصطلاح الكوفيين المجري وغير المجري .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) كلام مستأنف مسوق لإيراد نموذج عظيم من نماذج النصر الذي وعد الله به أنبياءه وأولياءه في الدنيا واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به والهدى مفعول به ثان وأورثنا عطف على آتينا وهو فعل وفاعل وبني إسرائيل مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان . (هدى وذكرى لأولي الألباب) هدى وذكرى نصب على أنهما مفعول من أجله أي لأجل الهدى والذكرى أو على أنهما مصدران في موضع الحال ولأولي الألباب نعت لذكرى أو هو متعلق بذكرى . (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذه الحقيقة الثابتة وهي أن الله ينصر رسله وأولياءه فاصبر يا محمد على أذى قومك وإن واسمها وخبرها واستغفر لذنبك عطف على فاصبر أي واستدرك المفرطات بذنبك وقيل الكلام على حذف مضاف أي لذنب أمتك .

(وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) عطف أيضاً وبحمد ربك حال وبالعشي والإبكار متعلقان بسبح . (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) إن واسمها وجملة يجادلون خبر إن وفي آيات

الله متعلقان بيجادلون وبغير سلطان حال أي حال كونهم غير مستندين في جدالهم الى حجة إلا المكابرة واللجاج وهما اسلاحان مغلولان وجملة أتاهم نعت لسلطان . (إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) إن نافية وفي صدورهم خبر مقدم وإلا أداة حصر وكبر مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن وما نافية حجازية وهم اسمها وببالغيه الباء حرف جر زائد وبالغيه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما والجملة نعت لكبر أي ببالغي مقتضى كبرهم وهو التعاظم . (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) الفاء الفصيحة واستعذ فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبالله متعلقان باستعذ وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والسميع البصير خبر إن .

(لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) اللام لام الابتداء وخلق السموات والأرض مبتدأ وأكبر خبر ومن خلق الناس متعلقان بأكبر ولكن الواو للحال ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها وسيأتي سر تلاحم هذا القول مع ما قبله في باب البلاغة . (وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون) الواو عطف على ما تقدم وما نافية ويستوي الأعمى فعل مضارع وفاعل والبصير عطف على الأعمى والذين آمنوا عطف على الأعمى والبصير وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات جملة معطوفة داخلة في حيز الصلة ولا المسيء الواو عاطفة ولا زائدة للتوكيد والمسيء عطف على ما قبله وسيأتي ترتيب هذه المنسوقات في باب البلاغة وقليلاً مفعول مطلق أو ظرف زمان وما زائدة وتتذكرون فعل مضارع مرفوع وفاعله .

(إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)
إن واسمها واللام المزحلقة وآتية خبرها ولا نافية للجنس وريب اسمها وفيها خبرها والجملة خبر ثان لأن ولكن أكثر الناس لا يؤمنون تقدم إعراب هذه الجملة قبل قليل فجدد به عهداً .

البلاغـة :

١ ـ فن الإلجاء :

في قولـه « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » فن رفيع من فنون البلاغـة وهو فن الالجـاء وهو أن يبادر المتكلم خصمه بما يلجئه الى الاعتراف بصحته وبهذا صح التحامه مع ما قبله من الكلام فإن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على أمور كثيرة من الجدال والمغالطة واللجاج والسفسطة وفي مقدمتها إنكار البعث وهو في الواقـع أصل المجادلة ومحورها الذي عليـه تدور ، فبادر سبحانه الى مبادهتهـم بما يسقط في أيديهم ، ويقطـع عليهم طرق المكابرة والمعاندة وهو خلق السموات والأرض وقد كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم فخلق الناس بالقياس شيء هين ومن قدر على خلقها مع عظمها كان ولا شك على خلق الانسان الضعيف أقدر وبه أقمن . هذا والأولوية في هذا الاستشهاد على درجتين : إحداهما أن القـادر على العظيم هو على الحقير أقـدر وثانيهما أن مجادلتهم كانت في البعث وهو الإعادة وما من ريب في أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة .

٢ ــ فن حسن النسق :

وفي قولـه « وما يستوي الأعمى والبصير » الآية فن حسن النسق وفي ترتيب النسق ثلاث طرق إحـداها أن يجـاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية فالأعمى يجاور البصير وهذان الوصفان مستعاران لمن غفـل عن معرفة الحق في مبدئه ومعـاده وقـدم الأعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي المحسن يجاور المسيء وقدم الذين آمنوا لمجاورته للبصير وناهيك بهذه المجاورة شرفاً للمؤمن ، وثاني الطريقتين أن يتأخر المتقابلان كقوله تعـالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » وثالثتهما أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى : « وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » وهـذه الطرق الثلاث يتخـير المتكلم في إيرادها حسب مقتضى الحال ووفق نواميس البلاغة وطرائقها والله أعلم .

الفوائـد :

لام الابتداء :

تفيد أمرين : أولهما توكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقوها في باب إن عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين ، وثانيهما تخليص المضارع للحال . وتدخل باتفاق في موضعين :

١ ــ على المبتدأ نحو : « لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » .

٢ً ـ بعد إن وتدخل في هذا الباب على ثلاثة باتفاق : الاسم نحو « إن ربي لسميع الدعاء » والمضارع لشبهه به نحو « وإن ربك ليحكم بينهم » والظرف نحو « وإنك لعلى خلق عظيم » وعلى ثلاثة باختلاف : الماضي الجامد نحو (إن زيداً لعسى أن يقوم) والماضي المقرون بقد والماضي المتصرف المجرد من قد .

ومن لام الابتداء لام القسم نحو « لينبذن في الحطمة » ونحو « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

اللغــة :

(داخرين) : صاغرين وفي المصبـاح : «دخر الشخص يدخر بفتحتين دخوراً : ذل وهان وأدخرته بالألف للتعدية » .

الاعراب :

(وقـال ربكم ادعوني أستجب لكم) كلام مستأنف مسوق

لبيان فضل الدعاء أي العبادة وسيرد في باب البلاغة المجاز في هذه الكلمة وقال ربكم فعل ماض وفاعل وادعوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة مقول القول ، واستجب فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ولكم متعلقان باستجب . (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) إن واسمها وجملة يستكبرون صلة الذين وعن عبادتي متعلقان بيستكبرون وجملة سيدخلون خبر إن وجهنم مفعول به على السعة وداخرين حال . (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً) الله مبتدأ والذي خبره وجملة جعل صلة ولكم متعلقان بجعل لأنه بمعنى خلق والليل مفعول به ولتسكنوا اللام للتعليل وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل وفيه متعلقان بتسكنوا والنهار عطف على الليل ومبصراً حال .

(إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) إن واسمها واللام المزحلقة وذو فضل خبر إن وعلى الناس متعلقان بفضل ولكن الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة لا يشكرون خبر لكن . (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء) اسم الإشارة مبتدأ والاشارة الى المعلوم المتميز بالأفعال المقتضية لربوبيته والله خبر أول وربكم خبر ثان وخالق كل شيء خبر ثالث (لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون) تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً فجدد به عهداً والجملة خبر رابع والفاء الفصيحة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال وتؤفكون أي تصرفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل أي فكيف تصرفون عن الإيمان بعد ما قامت البراهين على ربوبيته ؟

(كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل إفك هؤلاء إفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ، والذين نائب فاعل وجملة كانوا صلة الموصول وكان واسمها وبآيات الله متعلقان بيجحدون وجملة يجحدون خبرها .

البلاغـة :

١ ــ المجاز والمشاكلة :

في قوله « وقـال ربكم ادعوني أستجب لكم » مجاز مرسل علاقتـه السببية لأن الـدعاء سبب العبادة وفي قولـه أستجب لكم مشاكلة لأن الإثابة مترتبة عليها وإنما جعلنا الكلام مجازاً بقرينة قوله بعد ذلك « إن الذين يستكبرون عن عبادتي » ويؤيد هـذا المجاز حـديث النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : « الدعاء هو العبادة » وقرأ هذه الآية ، وقول ابن عباس : أفضل العبادة الدعاء ، على أن بعضهم حمل الآية على الظاهر وقال إن الدعاء هو السؤال والتضـرع وسيأتي في باب الفوائـد مزيـد بحث في هذا الصّدد .

٢ ــ الإسناد المجازي :

وفي قولـه « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً » إسناد مجازي فقد أسند الإبصار الى النهار لأنه يبصر فيه ولأن الإبصار في الحقيقة لأهـل النهار وقرن الليـل بالمفعول لأجله والنهار بالحال لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدّى الآخر لأنه لو قيل

لتبصروا فيه فاتت الفصاحة الكامنة في الإسناد المجازي ، ولو قيل ساكناً ــ والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ــ لم تتميز الحقيقة من المجاز .

٣ ــ وضع الظاهر موضع المضمر :

وفي قوله « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » وضع الظاهر موضع المضمر فقد كان السياق يقتضي أن يقول ولكن أكثرهم لا يشكرون فلا يتكرر ذكر الناس ولكن في هذا التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم وانهم هم المتميزون بهذه الصفة المنبوءه على الطباع تتوالى عليهم النعم وتترادف الآلاء ، ويتهيأ لهم كل ما يصبون إليه من مناعم العيش وهم مصرون على الجحود والنكران ، أليست هذه سمة الناس في مختلف الظروف والأحوال ؟ وقد كرر سبحانه تقرير ذلك فقال : « إن الإنسان لربه لكنود » وقال « إن الإنسان لظلوم كفار » .

الفوائد :

١ ــ قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته « اختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا ؟ فمنهم من قال : الدعاء عبادة للحديث : « ان الدعاء هو العبادة » ولأن الدعاء إظهار الافتقار الى الله تعالى ، وقالت طائفة : السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم ، والرضا بما سبق به القدر أولى ، وقال قوم يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعاً » قال القشيري : « والأولى أن يقال الأوقات مختلفة ، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من

السكوت وهو الأدب ، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وإنما يعرف ذلك بالوقت فإذا وجد في قلبه إشارة الى الدعاء فالدعاء أولى به وإذا وجد إشارة الى السكوت فالسكوت أتم».

فإن قيل : كيف قال تعالى « ادعوني أستجب لكم » وقد يدعو الإنسان كثيراً فلا يستجاب له ؟ وقيل في الجواب : « الدعاء له شروط منها : الاخلاص في الدعاء ، وأن لا يدعو وقلبه لاه ومشغول بغير الدعاء ، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان ، وأن لايكون فيه قطيعة رحم ؛ فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقاً بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له، يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا : يارسول الله وكيف يستعجل ؟ قال : يقول : دعوت فما استجاب لي » .

وأورد الغزالي سؤالاً آخر قال : « فإن قيل : فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مردّ ؟ فاعلم أن من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لردّ البلاء ووجود الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى : « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » فقدر الله تعالى الأمر وقدر سببه » .

وهذا سؤال قد تكون الإجابة متقدمة عليه وقد روينا في كتاب الترمذي : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء » ومعنى سره : أعجبه وأوقعه في الفرح والسرور وأن يستجيب الله فاعل سره ومفعول يستجيب محذوف أي دعاءه وقوله عند الشدائد ظرف للاستجابة أي حصول الأمور الشديدة من المكروهات ، والكرب بضم ففتح جمع كربة وهي الغم يأخذ بالنفس ، وقوله فليكثر الدعاء إلخ جواب الشرط ، ولرخاء بفتح الراء سعة العيش وحسن الحال وإنما كان كذلك لأن إكثاره في وقت الرخاء يدل على صدق العبد في عبوديته والتجائه الى ربه في جميع أحواله وانه يشكره في الرخاء كما يشكره في الشدة ويتوجه إليه بكليته ليكون له عدة .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في الاحياء : « آداب الدعاء عشرة: الأول أن يترصد الأزمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليل ووقت الأسحار ، الثاني أن يغتنم الأحوال الشريفة كحالة السجود والتقاء الجيوش ونزول الغيث وإقامة الصلاة وبعدها ، الثالث استقبال القبلة ورفع اليدين ويمسح بهما وجهه في آخره ، الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر ، الخامس أن لا يتكلف السجع ، السادس التضرع والخشوع والرهبة ، السابع أن يجزم بالطلب ويوقن بالإجابة ، الثامن أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً ولا يستبطىء الإجابة ، التاسع أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ، العاشر هو الأصل في الإجابة وهو التوبة ورد المظالم والإقبال على الله تعالى » .

٢ ــ لمحة عن القشيري :

اقتبسنا في هذا الفصل قبسة من الرسالة القشيرية ولإتمام الفائدة يحسن بنا أن نورد لمحة موجزة عنها وعن مؤلفها لأنها تمدنا

بصورة كاملة عن التصوف ورجاله منذ ظهر التصوف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حتى عصر المؤلف ، وتعتبر على الرغم من صغر حجمها نسبياً أفضل وثيقة علمية وتاريخية في موضوعها ، وقبل تلخيص الرسالة لا بد من الإشارة الى صاحبها فهو الشيخ عبد الكريم بن هوازن المعروف بزين الاسلام أبي القاسم القشيري ولد سنة ٣٧٦ هـ ولد في بيت عربي قح فقد كان أبوه قشيرياً من قبيلة قشير بن كعب التي وردت خراسان زمن الأمويين وكانت أمه سلمية وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين ناحية استوا قريباً من نيسابور وفي هذه المنطقة عاش أجداده الأقربون ، ونحن لا نعلم إلا القليل عن طفولته الأولى ولكننا نعلم أن أباه مات وهو صغير فعهد بأمر تربيته الى أبي القاسم الأليماني الذي كان صديقاً لأسرة القشيري فقرأ عليه الأدب والعربية ثم انتقل الى نيسابور حيث أخذ العلم عن بعض الأجلاء من علمائها وحضر مجلس الأستاذ الشهير أبي علي الحسن بن علي الدقاق الذي كان من كبار مشايخ الصوفية في عصره فأعجب القشيري به واستحسن كلامه وسلك طريقته فقبله الشيخ وأشار عليه بتعلّم العلم فحضر دروس الشيخ أبي بكر محمد بن بكر الطوسي ثم الأستاذ أبي بكر بن نورك الذي توفي سنة ٤٠٦ هـ وكان أصولياً كبيراً وبعد وفاته اختلف الى الأستاذ أبي اسحق الأسفراييني وجمع بين طريقته وطريقة ابن نورك ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو مع كل هذا يداوم على حضور مجلس أبي علي الدقاق إلى أن اختاره لصحبته وزوّجه من ابنته ولما مات الأستاذ أبو علي صحب الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي المؤرخ الصوفي الكبير وأصبح شيخ خراسان غير منازع في الفقه على مذهب الإمام الشافعي والكلام على مذهب الإمام أبي الحسن

الأشعري كما كانت له الصدارة في الحديث والأدب واللغة وقد وصف الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ مقدرته على الوعظ المؤثر بقوله : « ولو قرع الصخر بسياط تحذيره لذاب ، ولو ربط إبليس في مجلس تذكيره لتاب ، وله فصل الخطاب في فضل المنطق المستطاب » .

ويبدو أن الشهرة الواسعة التي تمتع بها القشيري في نيسابور قد أثارت الحقد والحسد في نفوس فقهاء هذه المدينة فشرعوا يعدون العدة للحط من قدره وذلك بتلفيق الاتهامات وإذاعة الأكاذيب حوله وقد نجحوا في مسعاهم وحلت بالقشيري محنة شديدة لقي فيها ألواناً من العنت والآلام والتشريد ونحيل القارىء الى طبقات السبكي ليقرأ تفاصيل تلك المحنة التي دامت خمس سنين إلى أن ردّ عليه عضد الدولة شرفه والتأم شمل مجلسه كما كان .

خلاصة الرسالة القشيرية :

تتألف الرسالة من الأقسام الرئيسية الآتية :

١ ـ مقدمة يشرح فيها الباعث على تأليفه الرسالة فقد لاحظ أن بعض صوفية عصره قد ضلوا سبل الرشاد فعقد النية على وضع كتاب يرجع فيه بالتصوف الى سيرته الأولى ، ويخلصه من البدع التي تسربت إليه وهذه هي عبارته نوردها بنصها لما فيها من روعة التصوير لهذه المأساة ، يقول : « اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحي غير نسائها

ويذكر القشيري في هــذه المقــدمة أيضاً بياناً بأصول العقائد الإيمانية التي دان بها أوائل الصوفية وبنوا قواعد أمرهم في الطريق عليهــا ثم يلخص وجهة نظره في تسع مسائل يرجــع اليها من يشاء في رسالته •

٢ ــ وهو قسم يترجم فيه لطائفة من الصوفية مبتدئاً بإبراهيم ابن أدهم ومنتهياً بأحمد بن عطاء •

٣ ــ وهو تفسير ألفاظ تدور بين الصوفية وبيان ما يشكل منهــا •

٤ ــ وهو في أدب الطريق وما يعرض للسالك من عقبات في سفره الى الله •

٥ ــ خاتمة بها وصيته للمريدين •

هــذا وقد كانت الرسالة موضع عناية الدارسين وقد وضعت عليها عدة شروح أشهرها شرح الشيخ زكريا الأنصاري ••

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ * قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

الاعراب :

(الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم) كلام مستأنف مسوق لبيان تفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان تفضله المتعلق بالزمان والله مبتدأ والذي خبره وجملة جعل صلة ولكم متعلقان بمحذوف حال والأرض مفعول به أول وقراراً مفعول به ثان لأن الجعل هنا بمعنى التصيير وإذا اعتبرت بمعنى الخلق كانت قراراً حالاً بمعنى مستقرة والسماء بناء عطف على ما تقدم وصوركم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، فأحسن عطف على صوركم وصوركم مفعول به ومعنى كون السماء بناء إنها مبنية كالقبة المضروبة في نظر العين . (ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم) ورزقكم عطف على ما تقدم ومن الطيبات متعلقان برزقكم وذلكم مبتدأ والله خبر وربكم خبر ثان .

(فتبارك الله رب العالمين) الفاء حرف عطف وتبارك فعل ماض والله فاعل ورب العالمين نعت الله . (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) هو مبتدأ والحي خبر وكلمة الشهادة التي تقدم اعرابها خبر ثان فادعوه الفاء الفصيحة وادعوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ومخلصين حال وله متعلقان بمخلصين والدين مفعول لمخلصين .

(الحمد لله رب العالمين) تقدم إعرابها في مستهل الكتاب والجملة مقول لقول محذوف هو حال من فاعل فادعوه أي قائلين الحمد لله الخ ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة على أنها من كلامه ذاته سبحانه . (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) إن واسمها وخبرها مقول القول وجملة نهيت خبر إن والتاء نائب فاعل وأن أعبد المصدر المؤول في محل نصب بنزع الخافض أي عن عبادة الذين تدعون وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة وجاءني البينات فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وجملة جاءني في محل جر بإضافة الظرف اليها .

(وأمرت أن أسلم لرب العالمين) عطف على نهيت وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي بالاسلام ولرب العالمين متعلقان بأسلم . (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) هو مبتدأ والذي خبر وجملة خلقكم صلة ومن تراب متعلقان بخلقكم والكلام مستأنف مسوق لبيان كيفية تكون البدن وما بعده عطف عليه . (ثم يخرجكم طفلاً) عطف أيضاً ويخرجكم فعل مضارع وفاعل وطفلاً حال من الكاف في يخرجكم . (ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً) عطف أيضاً واللام للتعليل وتبلغوا منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم وكذلك لتكونوا شيوخاً وشيوخاً خبر كان وقرىء بضم الشين وكسرها . (ومنكم من يتوفى من قبل) الجملة مستأنفة ومنكم متعلقان بمحذوف خبر لـ « من » ومن قبل متعلقان بيتوفي (ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون) الواو عاطفة

ولتبلغوا الجار والمجرور متعلقان بمحذوف أيضاً تقديره ونفعل ذلك ونحوه وأجلاً مفعول به ومسمى نعت ولعلكم تعقلون عطف على قوله لتبلغوا أشدكم .

(هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) هو مبتدأ والذي خبره وجملة يحيي ويميت صلة ، فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قضى في محل جر بإضافة الظرف إليها وأمراً مفعول به ، فإنما الفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويقول فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو وله متعلقان بيقول وكن فعل أمر تام وفاعل مستتر تقديره أنت والفاء استئنافية وجملة يكون خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون وقرىء فيكون بفتحها على أن الفاء سببية والفاعل ضمير مستتر تقديره هو .

الفوائد :

كائناً ما كان :

اختلف في كان وكائناً في قولك : لأضربنه كائناً ما كان فقال الفارسي : هما تامان في الموضعين وما مصدرية وهي وما بعدها فاعل كائناً أي كونه وقيل هما ناقصان في الموضعين وفي كائناً ضمير هو اسمه وخبره ما وهي موصولة وصلتها كان واسمها وخبرها واسمها ضمير مستتر فيها وخبرها محذوف تقديره إياه واسم كائن المستتر فيه وخبر كان عائدان على الشخص المضروب وتقدير الكلام حينئذ لأضربنه كائناً الذي كان إياه وكائناً حال من مفعول لأضربنه وفيه اطلاق ما على العاقل وهو جائز ويجوز أن تكون ما نكرة موصوفة وقد يقال من كان فيكون الكلام جارياً على وجهه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

اللغـــة :

(السلاسل) : جمع سلسلة وهي الدائرة من حديد ونحوه تتصل أجزاؤها أو حلقاتها بعضها ببعض ومنه سلاسل البرق أي ما استطال منه في عرض السحاب وسلاسل الكتاب : سطوره ، قال الراغب : وتسلسل الشيء اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل أي متردد في مقره .

(يسجرون) : يوقدون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود .

الاعراب :

(ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) الهمزة للاستفهام التقريري التعجبي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع

مجزوم بإلى والفاعل مستتر تقديره أنت والى الذين متعلقان بتر أي تنظر وجملة يجادلون بآيات الله صلة وأنى اسم استفهام في محل نصب حال ويصرفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومتعلقه محذوف أي يصرفون عن الإيمان بالكلية • (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) الذين بدل من الذين الأولى وكذبوا صلة وبالكتاب متعلقان بكذبوا وبما عطف على بالكتاب وجملة أرسلنا صلة وبه متعلقان بأرسلنا ورسلنا مفعول به والفاء استئنافية وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع مرفوع والجملة مستأنفة مسوقة للتهديد ، هذا ويجوز أن تعرب الذين خبراً لمبتدأ محذوف فيكون محلها الرفع أو منصوباً على الذم ويجوز أن يكون مبتدأ خبره فسوف يعلمون والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط • (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بيعلمون أو هي في محل نصب مفعول به ليعلمون ولا يتنافى كون الظرف ماضياً وسوف يعلمون مستقبلاً ففي جعلها مفعولاً به تفاد من استحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي ، ولك أن تقول لا منافاة لأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال •

وعبارة السمين « ولا حاجة لإخراج إذ عن موضوعها بل هي باقية على دلالتها على المضي وهي منصوبة بقوله فسوف يعلمون ، نصب المفعول به أي فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم أي وقت سبب الأغلال وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا كأنه قيل سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الأغلال في أعناقهم وهو وجه صحيح غاية ما فيه التصرف في

إذ تجعلها مفعولاً به ولا يضرنا ذلك فإن المعربين غالب أوقاتهم يقولون منصوب باذكر مقدراً ولا تكون حينئذ إلا مفعولاً به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي وجوزوا أن تكون منصوبة باذكر مقدر أي اذكر لهم وقت الأغلال ليخافوا وينزجروا فهذه ثلاثة أوجه خيرها أوسطها » .

وعبارة أبي البقاء : إذ ظرف زمان ماض والمراد بها الاستقبال هنا لقوله تعالى : فسوف يعلمون ، والأغلال مبتدأ وفي أعناقهم خبر والسلاسل عطف على الأغلال والظرف في نية التأخير عنهما فهو خبر عنهما معاً وجملة يسحبون حال أو مبتدأ وخبره جملة يسحبون والرابط مقدر تقديره بها وقرىء بنصب السلاسل ويسحبون بفتح الياء فهو مفعول مقدم ليسحبون .

وعبارة الزمخشري : « وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحاً مستقيماً فلما كانتا عبارتين متعقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

كأنه قيل بمصلحين وقرىء وبالسلاسل يسحبون » فهو على قراءة الجر من باب عطف التوهم وقد تقدم بحثه . وعندئذ يكون فيه فن القلب وهو كثير شائع في كلامهم وقد تقدم بحثه وفيه عطف التوهم بعد ذلك .

(في الحميم ثم في النار يسجرون) في الحميم متعلقان بيسحبون، ثم حرف عطف للتراخي وفي النار متعلقان بيسجرون والجملة عطف على ماقبلها • (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون) ثم قيل أي ثم يقال أو يقولون وصيغة الماضي لتحقق وقوع القول ولهم متعلقان بقيل وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كنتم صلة وجملة تشركون خبر كنتم • (من دون الله قالوا ضلّوا عنّا) من دون الله حال وقالوا فعل وفاعل وجملة ضلوا عنا مقول القول (بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين) بل حرف اضراب انتقالي ولم حرف نفي وقلب وجزم ونكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها مستتر تقديره نحن وجملة ندعو خبرها ومن قبل حال وشيئاً مفعول به وكذلك نعت لمصدر محذوف ويضل الله الكافرين فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة للإضلال أو العذاب وبما خبر وجملة كنتم صلة وجملة تفرحون خبر كنتم وفي الأرض متعلقان بتفرحون وبغير الحق حال • (وبما كنتم تمرحون) عطف على قوله كنتم تفرحون والمرح هو الفرح أو أشده كما في المصباح • (أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ادخلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف وأبواب جهنم مفعول به على السعة وخالدين حال وفيها متعلقان بخالدين والفاء عاطفة وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ومثوى المتكبرين فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف أي هي ولم يقل مدخل المتكبرين لإفادة الديمومة والخلود بلفظ الثواء •

الفوائـد :

رسمت « أين » مفصولة من « ما » في المصحف ووصلت في مواضع أخرى ، وعبارة ابن الجزري (« فأينما كالنحل صل » أي صل « أين » مع « ما » في قوله تعالى « أينما تولوا فثم وجه الله » بالبقرة كالنحل أي كما تصله بها في قوله « أينما يوجهه لا يأت بخير » بالنحل « ومختلف في الأحزاب والنساء وصف » أي والاختلاف في « أين ما كنتم تعبدون » في الشعراء و « أينما ثقفوا » في الأحزاب و « أينما تكونوا يدرككم المـوت » في النساء وصف أي ذكر أي ذكره أهـل الرسم وما عـدا الثلاثة نحو « فاستبقوا الخـيرات أين ما تكونوا » و « أين ما كنتـم تدعون من دون الله » في الأعراف و « أين ما كنتم تشركون » في غافر و « أين ما كانوا » في المجادلة مقطوع) .

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)

الاعراب :

(فاصبر إن وعد الله حق) الفاء الفصيحة أي إن بدا لك منهم ما بدا من صد وإعراض فلا تبتئس واصبر فإننا سننتقم لك منهم . واصبر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإن واسمها وخبرها تعليل

للأمر بالصبر . (فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون) الفاء عاطفة وإن الشرطية مدغمة في ما الزائدة ونرينك فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبعض الذي مفعول به ثان وجملة نعدهم صلة الذي ، أو نتوفينك عطف على نرينك والفاء رابطة ، وإلينا يرجعون : إلينا متعلقان بيرجعون والجملة جواب للشرط الثاني وهو نتوفينك وجواب الشرط الأول والتقدير فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك أو أن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام .

وإنما حذف جواب الأول دون الثاني لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل في إنكائهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلية وتطمين النفس على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه . (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ورسلاً مفعول به ومن قبلك نعت لرسلك أو متعلقان بأرسلنا ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة قصصنا صلة وعليك متعلقان بقصصنا ومنهم من لم نقصص عليك عطف على الجملة الأولى وهي نعت لرسلاً أو مستأنفة .

(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) الواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولرسول خبر كان المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وبآية متعلقان بيأتي وإلا أداة حصر وبإذن الله

استثناء من أعم الأحوال . ﴿ فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاء أمر الله في محل جر باضافة الظرف اليها وجملة قضي بالحق لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونائب فاعل قضي مستتر تقديره هو أي الأمر وبالحق حال أي ملتبساً بالحق وخسر فعل ماض وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بخسر والمبطلون فاعل خسر .

الفوائد :

ضمير النكرة نكرة أم معرفة ؟

تساءل بعضهم عن الضمير في قوله « منهم من قصصنا » والعائد على قوله « رسلاً » أهو نكرة أم معرفة ؟ وأجاب بأنه نكرة لأن مدلوله كمدلول المرجوع إليه وهو نكرة فوجب أيضاً أن يكون الراجع نكرة إذ التنكير والتعريف باعتبار المعنى والصحيح انه معرفة لأن الهاء في قولك : « جاءني رجل وضربته » ليست شائعة شياع رجل لأنها تدل على الرجل الجائي خاصة لا على رجل والذي يحقق ذلك أنك تقول جاءني رجل ثم تقول : أكرمني الرجل ولا تعني بالرجل سوى الجائي ولا خلاف في أن الرجل معرفة فوجب أن يكون الضمير معرفة أيضاً لأنه بمعناه .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

الاعراب :

(الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) كلام مستأنف مسوق لتعديد بعض آلائه سبحانه ، والله مبتدأ والذي خبره وجملة جعل صلة ولكم متعلقان بجعل لأنها بمعنى خلق والأنعام مفعول به ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الأنعام ولا معنى لتخصيص الإبل وحدها ، ولتركبوا اللام للتعليل وتركبوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعل لأنها علة الخلق ومنها متعلقان بتركبوا أي من بعضها فمن للتبعيض ولا معنى لجعلها ابتدائية ومنها تأكلون عطف على ما تقدم (ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) الجملة معطوفة • (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعليها متعلقان بتحملون وعلى الفلك عطف على وعليها • (ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون) ويريكم آياته عطف

على جعل لكم الأنعام وآياته مفعول به ثان ، فأي : الفاء عاطفة وأي مفعول مقدم لتنكرون وقدم وجوباً لأن لأسماء الاستفهام الصدارة وتنكرون فعل مضارع مرفوع والاستفهام للتوبيخ قال الزمخشري : « وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب » قلت وقد ورد تأنيثها كثيراً ومنه قول الكميت :

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً علي وتحسب

(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في توبيخهم والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي والفاء عاطفة على مقدر أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض أي في نواحيها وأطرافها والفاء فاء السببية وينظروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والواو فاعل وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة اسمها المؤخر ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول • (كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض) كلام مستأنف مسوق لبيان مبدأ أحوالهم وعواقبها وكان واسمها وأكثر خبرها ومنهم متعلقان بأكثر وقوة تمييز وآثاراً عطف على قوة وفي الأرض نعت لآثاراً • (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) الفاء عاطفة وما نافية أو استفهامية في محل نصب مفعول أغنى المقدم وأغنى فعل ماض وعنهم متعلقان بأغنى وما الثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع على الفاعلية أي لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم •

(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) الفاء هذه هي الفاء الثانية من أربع فاءات متعاقبة فالأولى للعطف كما قلنا بيّنت عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم . والثانية عاطفة أيضاً تشير الى تفصيل ما أبهم من عدم الإغناء ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة وجاءتهم رسلهم فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل وبالبينات متعلقان بجاءتهم وجملة فرحوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعندهم ظرف متعلق بمحذوف صلة ما ومن العلم حال (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وحاق عطف على فرحوا وبهم متعلقان بحاق وما موصولة فاعل وجملة كانوا صلة وكان واسمها وبه متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة. (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) وهذه هي الفاء الثالثة وهي لمجرد العطف والتعقيب أي التي تجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقبه ولما حينية ورأوا فعل ماض وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها وبأسنا مفعول به وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة آمنا مقول القول وبالله متعلقان بآمنا ووحده حال .

(وكفرنا بما كنّا به مشركين) وكفرنا عطف على آمنا وبما متعلقان بكفرنا وجملة كنا صلة ما وكان واسمها وبه متعلقان بمشركين ومشركين خبر كنا . (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) وهي الفاء الرابعة وهي للعطف وجملة يك معطوفة على آمنّا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم إيمانهم وقد أفادت العطف مع التفسير ، ويك فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسمها مستتر تقديره هو أي الشأن وجملة ينفعهم خبرها وايمانهم فاعل ينفعهم ويجوز رفع إيمانهم اسماً لكان وجملة

ينفعهم خبرها المقدم وليست المسألة من باب التنازع ولماحينية وجملة رأوا بأسنا في محل جر بإضافة الظرف اليها (سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) سنة الله مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه أي سن تعالى بهم سنة من قبلهم ويجوز أن يكون منصوباً على التحذير أي احذروا سنة الله في المكذبين والتي صفة لسنة وجملة قد خلت صلة وفي عباده متعلقان بخلت أي مضت في عباده والواو استئنافية وخسر فعل ماض وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بخسر والكافرون فاعل خسر وقد استعير ظرف المكان للزمان أي وخسروا وقت رؤية اليأس ويجوز ابقاؤه على أصله .

البلاغة :

فن التهكم :

في قوله « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » الآية فن التهكم وهو في الأصل تهدم البناء ، يقال تهكمت البئر إذا انهدمت والغضب الشديد والتندم على الأمر الفائت وهو في اصطلاح البيانيين الاستهزاء والسخرية من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في موضع الوعيد ، والعلم في موضع الجهل ، تهاوناً من القائل بالمقول له واستهزاءاً به ، وقد تقدمت الاشارة الى هذا الفن كثيراً في كتابنا ، قال الزمخشري : « أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى : بل ادّارك علمهم في الآخرة ، وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي إن لي

عنده للحسنى ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ، وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل : كل حزب بما لديهم فرحون » وما أجمل قول الحماسي :

أتاني من أبي أنس وعيد فثل تغيظ الضحاك جسمي

ثل أهلك ، والتغيظ : الغيظ ،وكني عن أبي أنس بالضحاك الذي كان ملكاً قصداً للاستهزاء .

الفوائد :

حذف نون مضارع كان المجزوم :

تقدم القول في حذف نون مضارع كان المجزوم بشرط كونه مجزوماً بالسكون غير متصل بضمير نصب ولا بساكن ، وقد وقع ذلك في التنزيل في ثمانية عشر موضعاً ، وقد سمع في الشعر حذفها اذ وليها ساكن ، قال الخنجر بن صخر الأسدي :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

فحذف النون مع ملاقاة الساكن ، والمرآة بكسر الميم ومدّ الهمزة آلة الرؤية فكأنه نظر وجهه فيها فلم يره حسناً فتسلى بأنه يشبه الضيغم وهو الأسد ، والوسامة بفتح الواو : الحسن والجمال وحمله جمهور النحاة على الضرورة،واستشهد بقول النجاشي :

فلست بآتيه ولا أستطيعه

ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

فحذف نون لكن ضرورة واستدل الفراء بهذا البيت على أن لكن المشددة مركبة وأصلها لكن ان فطرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكنين ومن طريف ما يروى عن هـــذا البيت أن النجاشي الشاعر عرض له ذئب في سفره فحكى أنه دعا الذئب الى الطعام وقال له : هل لك من أخ يعني انفسه يواسيك بطعامه بغـير من ولا بخل فقـال له الذئب دعوتني الى شيء لم تفعله السباع قبلي من مؤاكلة بني آدم ولست بآتيه ولا أستطيعه ولكن إن كان في مائك الذي معك فضل عما تحتاج اليه فاسقني منه .

سورة فصلت
مكية وآياتها اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢) كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٧)

الاعراب :

(حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم) حم خبر لمبتدأ محذوف وتنزيل خبر لمبتدأ محذوف أيضاً أي هو تنزيل ومن الرحمن الرحيم متعلقان بتنزيل وأجاز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وقوله كتاب الآتي خبره وساغ الابتداء بتنزيل لأنه تخصص بالصفة وعليه درج

الجلال وشراحه وما ذكرناه أولاً أولى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) كتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر وجملة فصلت آياته صفة للكتاب أي ميزت وجعلت تفاصيل في شتى المعاني وآياته نائب فاعل وقرآناً حال من كتاب وعربياً نعت وأجاز الزمخشري إعراب قرآناً بالنصب على الاختصاص ولقوم متعلقان بفصلت وجملة يعلمون نعت لقوم وأعرب الزمخشري لقوم بقوله : « والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله » .

(بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) يجوز أن يكونا نعتين لقرآناً وأن يكونا حالين إما من كتاب وإما من آياته وإما من الضمير المنوي في قرآناً ، فأعرض الفاء عاطفة على فصلت وأكثرهم فاعل ، فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يسمعون خبر هم .

(وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) الواو عاطفة أو استئنافية وقالوا فعل ماض وفاعل وقلوبنا مبتدأ وفي أكنة خبر أي أغطية ومما متعلقان بمحذوف أي تمنعنا مما تدعونا وقال أبو البقاء : « هو محمول على المعنى إذ معنى في أكنة أنها محجوبة عن سماع ما تدعونا إليه ولا يجوز أن يكون نعتاً لأكنة لأن الأكنة الأغشية وليست الأغشية مما يدعو إليه » وهذا كلام شامل لا يعين الاعراب ولهذا جنحنا إلى تقدير تمنعنا وقريب من الوجه الذي اخترناه قول زاده في حاشيته على البيضاوي : « في الكلام حذف تقديره في أكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه فحذف المضاف » فما يتعلق به مما هو النعت لأكنة . ولواو حرف عطف وفي آذاننا خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر .

(ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) الواو حرف عطف ومن بيننا خبر مقدم وبينك معطوف على بيننا وحجاب مبتدأ مؤخر ، فاعمل الفاء الفصيحة أي إن عرفت ما قلناه لك ووعيته فاعمل، وإننا إن واسمها وعاملون خبرها أي فاستمر على دعوتك فإننا مستمرون على ديننا وهو الإشراك وسيأتي مزيد بسط لهذا الكلام في باب البلاغة • (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ وبشر خبر ومثلكم نعت وجملة يوحى نعت ثان لبشر ، وإلي متعلقان بيوحى ونائب الفاعل أن وما بعدها وأنما كافة ومكفوفة وهي مع مدخولها نائب فاعل يوحى وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد نعت • (فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) الفاء الفصيحة واستقيموا فعل أمر وفاعل وهو متضمن معنى توجهوا ولذلك عدي بإلى واستغفروه عطف على فاستقيموا وويل الواو عاطفة وويل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء وللمشركين خبر والذين نعت وجملة لا يؤتون الزكاة صلة ولا يتنافى عطف الاسمية على الفعلية لأن الأول متجددوهوعدمإيتاء الزكاة والثاني مستمروهو الكفر(وهم بالآخرةهم كافرون) الواو عاطفة وهم مبتدأ وبالآخرة متعلقان بهم وهم الثانية تأكيد للأولى وكافرون خبر هم •

البلاغة :

اشتملت الآية « وقالوا قلوبنا في أكنة » الى قوله « عاملون » على نكت بلاغية تستحق أن تكتب بذوب التبر ففيها ثلاث استعارات تمثيلية لنبو قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول •

١ ــ فأولها الحجاب الحائل الخارج فقد شبهوا قلوبهم بالشيء المحوى المحاط بالغطاء المحيط له ٠

٢ ــ وثانيها حجاب الصمم فقد شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث أنها تمج الحق ولا تميل الى استماعه ٠

٣ ــ وثالثها وأقصاها الحجاب الذي أكن القلب والعياذ بالله فقد شبهوا حال أنفسهم مع الرسول بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يمنع من وصول أحدهما الى الآخر فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتخياً إلا سدلته ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعاً ولا صريخاً إلا استلبته ٠

هــذا ولا بد من الاشارة الى ما تضمنته من إشارات فهي تفيد الابتداء والمعنى أن حجاباً ابتدأ منّا وابتدأ منك ٠ أما بين فقد تكررت ومعناها واحد وقد وهم الزمخشري فجعل بين الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هي الثانية بعينها وهي عبــارة عن الجهــة المتوسطــة بين المضافين وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمر محفوظ فوجب تكرار حافظه وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وإنما كان ذكرها مع الظاهر جوازاً ومع المضمر وجوباً لما بيناه فإذا وضح ذلك فموقع من هاهنا كموقعها في قولــه تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً » وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثــلاً بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الحجاب ٠

الفوائـد :

منع الزكاة وسرها :

تساءل المفسرون جميعاً : لم خص تعالى من أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة ، وأجابوا بأسئلة متشابهة فحواها أن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته، ونص عبارة الزمخشري في هذا الصدد : « ألا ترى الى قوله عز وجل: « مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم » أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال » هذا ولو استعرضنا معنى اسم الزكاة لوجدناه يرمز الى أسمى الخصائص وأعلاها فهي تطهر المال من الخبث وتنقيه من الآفات وتبعد النفس عن رذيلة البخل ، وتنميها على فضيلة الكرم وتستجلب بها البركة ، وتزيد المتصدق ثناء ومدحاً ويكفر جاحدها ويقاتل الممتنعون من أدائها وتؤخذ منهم وإن لم يقاتلوا قهراً ، وعن أنس بن مالك قال : « أتى رجل من تميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضرة فأخبرني كيف أصنع وكيف أنفق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتصرف حق المسكين والجار والسائل » .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) كلام مستأنف مسوق لذكر ما أعد للصالحين بعد ما ذكر ما أعد للجاهلين ، وإن واسمها وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات مفعول به منصوب بالكسرة ولهم خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وغير ممنون نعت والجملة الاسمية خبر إن ومعنى غير ممنون : غير مقطوع وقيل غير ممنون به عليهم • (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) الهمزة للاستفهام الإنكاري وإن واسمها واللام المزحلقة وجملة تكفرون خبر إن وبالذي متعلقان بتكفرون وجملة خلق الأرض صلة وفي يومين متعلقان بخلق والمراد مقدار يومين أو في نوبتين كل نوبة أسرع مما يكون في يوم• (وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين) الواو عاطفة وتجعلون عطف على تكفرون وله في محل نصب مفعول تجعلون الثاني وأنداداً مفعوله الأول وذلك مبتدأ والإشارة الى الذي باعتبار اتصافه بما دلت عليه الصلة ورب العالمين خبره •

(وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) الواو عاطفة على الأصح فقد منع أبو البقاء وغيره العطف قال : « وجعل فيها هو مستأنف غير معطوف على خلق لأنه لو كان معطوفاً عليه لكان داخلاً في الصلة ولا يجوز ذلك لأنه فصل بينهما بقوله تعالى :وتجعلون الى آخر الآية وليس من الصلة في شيء » ويمكن أن يرد على ذلك بأن قوله وتجعلون وإن كان معطوفاً على تكفرون فهو بمثابة الاعتراض بين المتعاطفين والاعتراض كثيراً ما يأتي بينهما فالحق الذي لا مرية فيه أنه معطوف على خلق الأرض فهو من جملة الصلة وفيها في محل المفعول الثاني ورواسي مفعول جعل الأول ، ولك أن تعلق الجار والمجرور بجعل على أنه بمعنى خلق فهو ينصب مفعولاً واحداً ومن فوقها نعت لرواسي وما أجمل وقع هذا النعت لئلا يتوهم أنها من تحتها فتكون ممسكة لها ومانعة من الميدان ثم لتكون الجبال معروضة للناظرين بحيث تحتاج هي والأرض الى ممسك لها وبارك فيها عطف على جعل فيها •

(وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) وقدر فيها عطف على ما تقدم أي أرزاق أهلها ومعايشهم وفي أربعة أيام متعلقان بقدر أي في تمام ومقدار أربعة أيام وسواء نصب على المصدر أي استوت الأيام الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص وقرىء بالجر على الوصف وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وللسائلين متعلقان بسواء بمعنى مستويات للسائلين أو بمحذوف كأنه قيل : هذا الحصر لأجل من سأل في كم يوم خلقت الأرض وما فيها أو متعلقان بمقدر أي قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين والمحتاجين إليها من المقتاتين • وأجاز أبو البقاء إعراب سواء حلاً بعد أن ذكر الأوجه المتقدمة وهو جائز على أنه حال من الضمير في أقواتها أو فيها أو من الأرض •

(ثم استوى الى السماء وهي دخان) ثم حرف عطف للترتيب الإخباوي لا الزماني واستوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وإلى السماء متعلقان باستوى من قولك استوى الى مكان كذا إذا قصده وتوجه إليه توجهاً مستقيماً لا يلوي غلى شيء والواو للحال وهي مبتدأ ودخان خبر وسيأتي معنى هذا التشبيه في باب البلاغة .
(فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى ولها متعلقان بقال وللأرض عطف على لها وائتيا فعل أمر مبني على حذف النون وألف الاثنين فاعل وطوعاً وكرهاً مصدران في موضع الحال أي طائعتين أو كارهتين وسيأتي مزيد بحث عن هذه الآية في باب البلاغة .
(فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها) الفاء عاطفة وقضاهن فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وسبع سموات مفعول ثان لقضاهن لأنه ضمن معنى صير ويجوز أ نيكون منصوباً على الحال من مفعول قضاهن فتكون قضى بمعنى صنع أي معدودة ويجوز أن يكون منصوباً على البدلية من الضمير ويجوز أن يكون تمييزاً وإليه جنح الزمخشري قال « ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً لسبع سنوات على التمييز » ويعني الزمخشري بقوله مبهماً أنه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالاً أو مفعولاً ثانياً ، وأوحى عطف على فقضاهن وفي كل سماء متعلقان بأوحى وأمرها مفعول به .

(وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) وزينا عطف على ما تقدم على طريق الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة وزينا فعل وفاعل والسماء مفعول به والدنيا نعت وبمصابيح متعلقان بزينا أي بنجوم وحفظاً مفعول مطلق لفعل محذوف أي وحفظناها

حفظاً من استراق الشياطين السمع للشهب وأجاز الزمخشري أن يكون مفعولاً لأجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً وذلك مبتدأ والاشارة الى ما ذكر كله بتفاصيله وتقدير العزيز العليم مضاف إليه •

البلاغة :

١ ـ التشبيه البليغ الصوري :

في قوله « ثم استوى الى السماء وهي دخان » تشبيه بليغ صوري لأن صورتها صورة الدخان في رأي العين والمراد بالدخان البخار الذي تتشكل منه الطبقات الهوائية فلا منافاة مع أحدث نظريات العلم •

٢ ـ الاستعارة المكنية :

وفي قوله استوى الى السماء استعارة مكنية فالمستعار الاستواء والمستعار منه كل جسم مستو والمستعار له هو الحق عز وجل وقد تقدم تفصيل هذه الاستعارة كثيراً فتدبره •

٣ ـ وفي قوله « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » فنون شتى نجملها بما يلي :

أ ـ إسناد القول للأرض والسماء وتوجيه الخطاب لهما من باب المجاز العقلي والقصد من هذا المجاز تصوير قدرته سبحانه واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات للطوع والكره لهما ، ويجوز أن يكون هذا من باب الاستعارة المكنية فقد شبههما بكائنين حيين عاقلين ثم

حذف المشبه به وأثبت شيئاًمن لوازمه لتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة الطائع كما تقول نطقت الحال بكذا بدل دلت فيجعل الحال كالانسان الذي يتكلم في الدلالة والبرهان ثم يتخيل له النطق الذي هو من لازم المشبه به وينسب اليه .

ب ــ الطباق بين طوعاً وكرهاً .

جـ ــ تغليب المذكر العاقل على المؤنث أو التنزيل منزلته في قوله « قالتا أتينا طائعين » .

٤ ــ الالتفات :

وفي قوله « وزينا السماء الدنيا بمصابيح الآية » التفات من الغيبة الى التكلم فقد أسند التزيين الى ذاته سبحانه لإبراز مزيد العناية بالتزيين المذكور .

فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾

اللغــة :

(صرصراً) : قـال الزمخشري : « الصرصر : العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل : الباردة التي تحرق بشدة بردها، تكرير لبنـاء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمـع ويقبض » وفي القاموس « الصرة بالكسر شدة البرد أو البرد كالصرّ فيهما وأشد الصياح وبالفتح الشدة من الكرب والحرب والحر ••• وصرّ يصرّ من باب ضرب صرّاً وصريراً صوّت وصاح شديداً » وقال ابن قتيبة صرصر يجوز أن يكون من الصرّ وهو البرد ويجوز أن يكون من صر الباب وأن يكون من الصرة وهي الصيحة ومنه فأقبلت امرأته في صره » وقال الراغب : « صرصر لفظه من الصر وذلك يرجع الى الشد لما في البرودة من التعقّد » •

وللصاد مـع الراء فاء وعيناً للكلمـة معنى الشدة والظهـور النصوع ، فصرب : جاء بضربة تزري الوجه وتقول : جزى الله بضربة، من جاءنا بصربة ، وصرح بما في نفسه وبنى صرحاً وصروحاً وقعد في صَرْحة داره أي في ساحتها وصرحت الخمرة : ذهب عنهـا الزبد ، والصراخ : صوت المستغيث وصوت المغيث إذا خرج بقومه للإغاثة قال سلامة :

إنا إذا ما أتانا صـارخ فزع   كان الصراخ له قرع الظنابيب

أي كان الغياث له ، وهذا يومٌ صَرْدٍ وصَرَدٍ ويوم صَرِد وقد صَرِد يومنا وليلة صردة ورجـل صَرِد وريح مصراد باردة شديدة البرد،وصرعته تركته صريعاًوتركتهم صرعى وصرعهمريب المنون

وليس أشد من ذلك وبات صريع الكأس ، قال مسلم بن الوليد صريع الغواني :

هــل العيش إلا أن أروح مع الصبـا
وأغدو صريع الراح والأعين النجــل

وحفظك الله من صرف الزمان وصروفه وتصاريفه ، وزرع صريم ومصروم مجزوز وصرم النخــل واصطرمه ، وماء صريّ مجموع • ولا يجتمع إلا ليظهر ، قال ذو الرمة :

صَرى آجنٌ يزوي له المرء وجهــه
ولو ذاقــه ظمــآن في شهــر ناجر

وهذا من الغريب الذي يبز اللغات •

(نحسات) : بكسر الحاء وسكونها وهما قراءتان سبعيتان أي مشئومات عليهم فأما الكسر فهو صفة على فعل وفعله فعل بكسر العين أيضاً يقــال نحس فهو نحس كفرح فهــو فرح وأشر فهو أشر وأما السكون فهو مصدر وصف به كرجل عدل ولكن يشكل على هــذه القراءة جمعه فإن الفصيح في المصــدر الموصوف به أن يوحد وكأن المسوغ له اختلاف أنواعه في الأصل •

الاعراب :

(فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) كلام مستأنف على طريق الالتفات ، مسوق لتحذيرهم بعد إعراضهم ، وللالتفات سر بليغ نورده في باب البلاغة ، وإن شرطية وأعرضوا فعل

ماض والواو فاعل والفعل في محل جزم فعل الشرط ، فقل الفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأنذرتكم فعل ماض وفاعل ومفعول به ، وعبّر بالماضي وسياق الكلام يقتضي الاستقبال للدلالة علـى تحقق الإنذار ، وصاعقـة مفعول به ثان ومثل نعت لصاعقة .
(إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) الظرف متعلق بصاعقة لأنها بمعنى العذاب وجملة جاءتهم الرسل في محل جر بإضافة الظرف إليها ومن بين أيديهم متعلقان بجاءتهم ومن خلفهم عطف عليه أي من جميع جوانبهم أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار ومن جهة المستقبل بالتحذير وأعربه بعضهم متعلقاً بمحذوف حال من الرسل أي حال كون الرسل من بين أيدي عاد وثمود ومن خلفهم ورجح الزمخشري الأول في تفسيره لمعناه قال : « أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكـن لي فيه حيلة » .

(أن لا تعبدوا إلا الله) يجوز في أن هذه ثلاثة أوجه : أحدها أن تكون مخففـة من الثقيلة أصله أنه لا تعبـدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره قائلين وهو حال من الرسل ولا ناهية وتعبـدوا فعل مضارع مجزوم بلا وإلا أداة حصـر ولفظ الجلالة مفعول به ، والوجه الثاني أن تكون مصدرية تنصب الفعـل المضارع ولا نافية وتعبدوا فعل مضارع منصوب بأن بعد لا النافية فإن لا النافية لا تمنع عمـل العامل فيما بعدها ، والوجه الثالث أن تكون مفسرة لأن مجيء الرسل يحمل القول وتكون الجملة لا محل لها لأنها مفسرة . (قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) قالوا فعل ماض وفاعل ولو حرف شرط غير جازم وشاء

ربنا فعل وفاعل والمفعول به محذوف تقديره إرسال الرسل والأحسن أن يقدر من جنس جوابها أي لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة إلى الإنس لأنزل إليهم بها ملائكة والفاء الفصيحة وان واسمها وبما متعلقان بكافرون وجملة أرسلتم به صلة وكافرون خبر إن والمعنى فإذ أنتم بشر ولستم ملائكة فإننا لا نؤمن بكم .

(فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق) الفاء استئنافية والكلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية ما يختص به كل واحد منهما وأما حرف شرط وتفصيل وعاد مبتدأ والفاء رابطة لجواب أما وجملة استكبروا خبر عاد وفي الأرض متعلقان باستكبروا وبغير الحق حال . (وقالوا من أشدّ منّا قوة) وقالوا عطف على فاستكبروا ومن اسم استفهام مبتدأ وأشد خبر والجملة مقول القول ومنا متعلقان بأشد وقوة تمييز . (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو حرف عطف وجملة لم يروا معطوفة على مقدر يقتضيه السياق أي اغفلوا وضلوا ولم يروا وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا لأنها بمعنى العلم وأن واسمها والذي نعت وجملة خلقهم صلة وهو مبتدأ وأشد خبر ومنهم متعلقان بأشد وقوة تمييز والجملة خبر أن .

(وكانوا بآياتنا يجحدون) عطف على قوله فاستكبروا أيضاً والجملة المعطوفة والمعطوف عليه المقدر اعتراض وبآياتنا متعلقان بيجحدون لأنه متضمن معنى يكفرون . (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) الفاء عاطفة وأرسلنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأرسلنا وريحاً مفعول به وصرصراً نعت وفي أيام نعت ثان أو حال ونحسات نعت لأيام ، ولنذيقهم اللام

للتعليل ونذيقهم فعل مضارع منصوب بأن بعد لام التعليل والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا وعذاب الخزي مفعولٌ به ثان لنذيقهم وهو من إضافة الموصوف الى صفته وسيأتي تفصيله في باب البلاغة وفي الحياة متعلقان بنذيقهم والدنيا نعت للحياة . (ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) الواو استئنافية واللام للابتداء وعذاب الآخرة مبتدأ وأخزى خبر والواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا ينصرون خبر وينصرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على أفانين متعددة من البلاغة نوردها فيما يلي :

١ ـ الالتفات في قوله : « فإن أعرضوا » الآية فقد خاطبهم أولاً بقوله : « أئنكم » بيد أنهم لم يأبهوا لخطابه ولم يستوعبوا نصحه فالتفت من الخطاب إلى الغيبة لأنهم فعلوا الإعراض فليس له إلا أن يعرض عن خطابهم ليصح التلاؤم ، ويناسب اللفظ المعنى ، وهذا من أرفع أنواع البلاغة وأرقاها وكم للالتفات من أسرار .

٢ ـ العدول عن المضارع المستقبل إلى الماضي بقوله « فقد أنذرتكم » للدلالة على أن ما ينذرهم به أمر متحقق لا مندوحة عنه .

٣ ـ الاسناد المجازي في قوله « عذاب الخزي » فإنه أضاف العذاب إلى الخزي الذي هو الذل ، والخزي الذي هو الذل

والاستكانة في الأصل صفة المعذب ولكنه جنح الى وصف العذاب به للمبالغة فهو كما قلنا في الاعراب من اضافة الموصوف الى صفته •

٤ ـ المشاركة في قوله « ولعذاب الآخرة أخزى » وجعل الخزي هذه المرة خبراً للمشاكلة على حد قول الشاعر :

« قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً »

وقد تقدم بحث هذا الفن •

٥ ـ في قوله « فاستحبوا العمى على الهدى » استعارة تصريحية فقد شبه الكفر بالعمى لأن الكافر ضال عن القصد ، متعسف الطريق كالأعمى ، وشبه الإيمان بالهدى لأن المؤمن مهتد الى محجة القصد وسواء السبيل ثم حذف المشبه في كليهما وأثبت المشبه به •

٦ ـ الطباق بين العمى الهدى وقد تقدم •

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

اللغـــة :

(يوزعون) : يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وتشير الى معنى الكثرة وفي معاجم اللغـة : « وزع يزع من باب فتح ووزع يزع من باب ضرب فلان وبفلان : كفه ومنعه ووزع الجيش حبس أولهم عـلى آخرهم يقال رأيته يزع الجيش أي يرتبهـم ويسويهم ويصفهم للحرب » وقد تقـدم ذكر هذه المـادة .

(يستعتبوا) : يطلبـوا العتبى أي الرضا والرجوع لهـم إلى ما يحبون جزعاً مما هم فيه .

(قيضنا) : هيأنا ، وأصل التقييض التيسير والتهيئة ، والمقايضة المعاوضة .

الاعراب :

(وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) عطف على قوله فأما عاد وأما حرف شرط وتفصيل وثمود مبتدأ وجملة فهديناهم الخبر والفاء عاطفة واستحبوا عطف على هديناهم والعمى مفعول به وعلى الهدى متعلقان باستحبوا لأنه متضمن معنى آثروا (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) الفاء عاطفة وأخذتهم فعل ماض ومفعول به مقدم وصاعقة العذاب فاعل مؤخر والهون نعت للعذاب أو بدل منه وبما متعلقان بأخذتهم والباء معناها السببية وما موصولة وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يكسبون خبرها والعائد محذوف أي بالذي كانوا يكسبونه من شركهم وتكذيبهم نبيهم صالحاً •

(ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الواو حرف عطف ونجينا فعل وفاعل والذين مفعول به وجملة آمنوا صلة وكانوا عطف على آمنوا وكان واسمها وجملة يتقون خبرها • (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) الواو استئنافية ويوم مفعول لفعل محذوف تقديره اذكر يوم وجعله أبو البقاء ظرفاً لما دل عليه بعده وهو قوله تعالى « فهم يوزعون » كأنه قال يمنعون يوم نحشر ، وليس ببعيد ، وجملة يحشر في محل جر بالإضافة وأعداء الله نائب فاعل والى النار متعلقان بيحشر والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يوزعون خبر • (حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) حتى حرف غاية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه وهو شهد وما زائدة لتأكيد

الشهادة وما المزيدة تؤكد معنى ما اتصلت به في النسبة التي تعلقت به وهنا أكدت ظرفية الوقت المحدد للشهادة وجملة جاءوها في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة شهد لا محل لها وعليهم متعلقان بشهد وسمعهم فاعل وأبصارهم وجلودهم معطوفان على سمعهم وبما متعلقان بشهد أيضاً وجملة كانوا صلة ما وجملة يعملون خبر كان .

(وقالوا لجلودهم لمَ شهدتم علينا) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل ولجلودهم متعلقان بقالوا واللام حرف جر وما اسم استفهام مجرور بما ولذلك حذفت ألفها والجار والمجرور متعلقان بشهدتم وعلينا متعلقان بشهدتم والجملة مقول القول والاستفهام هنا للتوبيخ والتعجب من هذا الأمر (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) قالوا فعل وفاعل وأنطقنا الله فعل ماض ومفعول به وفاعل والجملة مقول القول والذي صفة لله وجملة أنطق كل شيء صلة الذي . (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) الواو عاطفة وهو مبتدأ وجملة خلقكم خبر وأول مرة ظرف متعلق بخلقكم وإليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل . (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) عطف على ما تقدم وما نافية وكنتم كان واسمها وجملة تستترون خبرها وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتستترون أي من أن يشهد عليكم لأن تستترون لا يتعدى بنفسه وقيل هو مفعول لأجله أي لأجل أن يشهد عليكم سمعكم وعليكم متعلقان بيشهد وسمعكم فاعل ولاأبصاركم ولاجلودكم عطف على سمعكم أي ما كان استتاركم خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم لم تكونوا تتصورون شهادتها بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً .

(ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل وظننتم فعل وفاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظننتم وان واسمها وجملة لا يعلم خبرها وكثيراً مفعول به ومما نعت لكثير وجملة تعملون صلة والعائد محذوف أي تعملونه .

(وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) الواو عاطفة وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذي ظننتم نعت أو بدل وبربكم متعلقان بظننتم وجملة أرداكم خبر ثان ويجوز إعراب ظنكم بدلاً من ذلكم أو ظنكم خبر وجملة أرداكم حال فأصبحتم عطف على أرداكم وأصبح واسمها ومن الخاسرين خبرها . (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) الفاء استئنافية وإن شرطية ويصبروا فعل الشرط والفاء رابطة والنار مبتدأ ومثوى خبر ولهم نعت لمثوى . (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) عطف على الجملة السابقة وما نافية حجازية وهم اسمها ومن المعتبين خبرها . (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) فعل وفاعل ولهم متعلقان بقيضنا وقرناء مفعول به أي يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض ، والقيض قشر البيض الأعلى اليابس على البيضة أو هي التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء وموضعهما المقيض ، فزينوا فعل وفاعل ولهم متعلقان بزينوا وما مفعول به والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وأيديهم مضاف إليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم .

(وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) الواو عاطفة وحق فعل ماض وعليهم متعلقان بحق والقول فاعل وفي أمم متعلقان بمحذوف حال أي كائنين في جملة أمم

أو مندرجين وهو حال من الضمير في عليهم ومثل هـذا التعبير قول عروة بن أذينة :

إن تك عن أحسن الضيعة مأ فوكاً ففي آخرين قـد أفكوا

يقول : إن تكن مأفوكاً أي مصروفاً ومنقلباً عن أحسن العطاء فلا عجب فأنت في جملة أناس آخرين قد أفكوا وصرفوا عن الاحسان. وجملة قد خلت صفة لأمم ومن قبلهم متعلقان بخلت ومن الجن والانس نعت ثان لأمـم أو حال لأنها وصفت وان واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمهـا وخاسرين خبر كان وجملة إن وما بعـدها تعليلية لاستحقاقهم العذاب .

البلاغـة :

الكناية :

في قوله « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) كناية عن موصوب فقد كنى عن الفروج بالجلود وقيل أراد بالجلود الجوارح عامة والعطف من عطف العام على الخاص نفيس في الكلام كناية إذن ، فالجلود هنا تفسّر حقيقة ومجازاً ، أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقاً، وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو الجانب البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا

كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

اللغـــة :

(الغوا فيه): فعل أمر من لغي بالكسر يلغى بالفتح وفيها معنيان أحدهما أنه من لغى إذا تكلم باللغو وهو مالا فائدة فيه والثاني انه من لغي بكذا إذا رمى به فتكون في بمعنى الباء أي ارموا به وانبذوه ، وإما أن يكون من لغى بالفتح يلغى بالفتح أيضاً ، حكاه الأخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لأجـل حرف الحلق وقرىء بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ، هذا ماقرره السمين ، وعبارة الزمخشري « والغوا فيه بفتح الغـين وضمها يقـال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته » .

الاعراب :

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) كلام مستأنف مسوق لتقرير حالهـم ومكابرتهم عند قراءة القرآن وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولا ناهية وتسمعوا فعل مضارع مجزوم بلا والجملة مقول القول ولهذا متعلقان بتسمعوا والقرآن بدل والغوا فعل أمر وفاعل وفيه متعلقان بالغوا ولعل واسمها وجملة تغلبون خبرها والمراد بالغلبة حمله على السكوت عن القراءة لئلا يستهوي القلوب ويستميلها بقراءة ما لم يعهده من بيان . (فلنذيقنّ الذين كفروا عـذاباً شديداً) الفـاء الفصيحة أي إن استمرءوا ذلك

واستمروا فيه فلنذيقن ، واللام موطئة للقسم ونذيقن فعل مضارع مبني على الفتح واجب التأكيد والفاعل مستتر تقديره نحن والذين مفعول به وجملة كفروا صلة وعذاباً مفعول به وشديداً نعت • (ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) عطف على ما تقدم وأسوأ الذي كانوا يعملون مفعول ثان لنجزينهم •

(ذلك جزاء أعداء الله النار) ذلك مبتدأ والإشارة الى المذكور من الأمرين وهما قوله فلنذيقن وقوله ولنجزينهم وجزاء أعداء الله خبر والنار بدل أو عطف بيان من جزاء ، واعترض بعضهم على هذا الاعراب بأن علامة البدل صحة حلوله محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك النار وهذا لا يصح ولذلك ينبغي العدول عن الإعراب الأرجح الى المرجوح وهو أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره سيأتي فيما بعد • (لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون) لهم خبر مقدم وفيها حال ودار الخلد مبتدأ مؤخر والجملة إما خبر النار بناء على إعرابها مبتدأ أو في محل نصب حال أو مستأنفة مستقلة مقررة لما قبلها وهذا أقعد بمكان البلاغة كما سيأتي ، وجزاء مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر وهو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء أو منصوب بالمصدر المذكور قبله والمصدر ينصب بمصدر مثله وقد تقدمت له نظائر ولك أن تجعل جزاء مصدراً واقعاً موقع الحال وبما متعلقان بجزاء الثاني أو الأول وجملة كانوا صلة وجملة يجحدون خبر كانوا وبآياتنا متعلقان بيجحدون لتضمنه معنى يكفرون وذلك خير من جعلها زائدة •

(وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلاّنا من الجن والإنس) الواو استئنافية وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأرنا فعل أمر مبني على حذف حرف

العلة ونا مفعول به أول واللذين مفعول به ثان لأن الرؤية بصرية وقد عديت الى اثنين بالهمزة وجملة أضلاّنا صلة ومن الجن والإنس حال قيل هما إبليس وقابيل الأول سن الكفر والثاني سن القتل بغير حق لأنه قتل أخاه كما تقدم . (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) نجعلهما فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به أول وتحت أقدامنا الظرف في موضع المفعول الثاني ، ليكونا اللام للتعليل ويكونا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والألف اسمها ومن الأسفلين خبرها والجار والمجرور متعلقان بفعل الرؤية لأنه تعليل لها .

البلاغــة :

١ ـ في قوله « فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً » استعارة مكنية وقد تقدم اجراؤها كثيراً .

٢ ـ وفي قوله « لهم فيها دار الخلد » تجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذي بال صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكماله فيها ، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد .

أقسام التجريد :

واعلم أن للتجريد أقسام ذكرها علمـاء البيان ، وسنحاول أن نورد ما قالوه فيها على سبيل الإيجاز :

١ ـ فمنه ما يكون بمن التجريدية كقولهم لي من فلان صديق حميم أي قد بلغ فلان حداً من الصداقة يصح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها ، ومثاله من الشعر قول القاضي الفاضل :

تمـد الى الأعـداء منهـا معاصماً

فترجع من مـاء الكـلى بأساور

٢ ـ ومنه ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم : لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، بالـغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحراً في السماحة .

٣ ـ ومنه ما يكون بدخول باء المعية والمصاحبة في المنتزع كقول ابن هانيء :

وضربتم هـام الكماة ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر

وقول أبي تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بغرة فتحت لنا باب الرجاء المقبل

بأتم من قمر السماء إذا بدا بدراً وأحسن في العيون وأجمل

وأجل من قيس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

هذا والمراد بأتم من قمر السماء نفس أبي الوليد كما لا يخفى .

٤ ـ ومنه أن يكون بدخول في على المنتزع منه أو مدخول ضميره كالآية التي نحن بصددها « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم وهي دار الخلد لكنه انتزع منها داراً أخرى مبالغة ، وقول المتنبي :

تمضـي المواكب والأبصـار شاخصـة

منهـا الى الملك الميمـون طـائره

قد حرن في بشـــر في تاجـــه قمـــر
في درعـــه أســـد تدمى أظـــافره

فإن الأسد هو نفس الممدوح لكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة .

٥ ـ ومنه أن يكون بدخول بين كقول ابن النبيه :

يهتـــزُّ بين وشاحيهـــا قضيب نقـــا
حمـــائم الحلي في أفنانـــه صـــدحت

٦ ـ ومنه أن يكون بدون توسط شيء كقول قتادة بن سلمة الحنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بعـــزة تحوي الغنائم أو يموت كريم

يعني بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ولذا لم يقل أو أموت ، وقول أبي تمام :

ولـــو تراهـــم وإيانا وموقفنـــا
في مأتم البـــين لاستهـــلاكنا زجـــل
من حرقـــة أطلقتهـــا فرقـــة أسرت
قلبـــاً ومن غـــزل في نحره عـــذل
وقـــد طوى الشوق في أحشائنا بقراً
عينـــاً طوتهن في أحشائها الكـــلل

ومراده بالبقر العين الذين أخبر عنهم أولاً بقولـه ولو تراهم فكأنه انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها ٠

٧ ـ ومنه أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخـر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ثم يخاطبه كقول أبي الطيب المتنبي :

لا خيـل عنـدك تهـديها ولا مال
فليسعد النطق إن لـم تسعد الحـال

أراد بالحال الغنى فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال والحال ، ومنه قول الأعشى :

وَدّعْ هريرة إن الركب مرتحـل
وهـل تطيق وداعـاً أيها الرجـل

وقول أبي نواس المتمع :

يا كثـير النوح في الـدمن لا عليهـا بل عـلى السكن
سنة العشـاق واحـدةٌ فـإذا أحببـت فاسـتنن

ومراده الخطاب مع نفسه ولذلك قال بعده :

ظنّ بي من قـد كلفت به فهو يجفوني عـلى الظّن
بات لا يعنيـه ما لقيـت عـين ممنوع من الوسن
رشـأ لـولا مـلاحته خلـت الـدنيا مـن الفتن

تقسيم آخر للتجريد :

وقسمه آخرون الى قسمين فقط وهما : تجريد محض وتجريد غير محض فالأول ، وهو المحض ، أن يأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك كقول الحيص بيص في مطلع قصيدة له :

إلام يراك المجـــــد في زيّ شاعر
وقــــد بخلت شــــوقاً فروع المنـــابر

كتمت بعيب الشعر حلمـاً وحكمــة
ببعضهمــــا ينقـــاد صعب المفاخــــر

أمــا وأبيك الخــــير انك فــارس
المقـــال ومحيي الدارسات الغوابــــر

وأنك أعييـــت المسامـــع والنـــهى
بقولك عمـــا في بطـــون الـــدفاتر

فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعدّ ما عدّه من الفضائل التائهة ، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض .

وأما القسم الثاني ، وهو غــير المحض ، فإنه خطـــاب لنفسك لا لغيرك ، وبين هـــذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذاك أولى بأن

يسمى تجريداً لأن التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً وإنما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهي منك ، ومما جاء منه قول عمرو بن الاطنابة :

أقول لهـــا وقـــد جشأت وجاشت
مكـــانك تحمـــدي أو تستريحي

وقول الآخر وقد قتل أخواه ابناً له فقدم إليه أخوه ليقتاد منه فألقى السيف من يده وأنشأ يقول :

أقـــول للنفس تأساء وتعزيـــة
إحـــدى يديّ أصابتني ولـم ترد

كلاهمـــا خلف من فقـــد صاحبـه
هـــذا أخي حين أدعوه وذا ولـــدي

وذكر أبو علي الفارسي كلاماً جميلاً بصـــدد التجريد فقال : « إن العرب تعتقـد أن في الانسان معنى كامناً فيـه كأنه حقيقتـه ومحصوله فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الانسان كأنه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألته لتسألن به البحر وهو عينه الأسد والبحر لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه أو متميزاً منه » ثم قال « وعلى هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما قال الأعشى :

وَدّعْ هـريرة إن الركب مرتحـــل
وهـــل تطيق وداعـاً أيها الرجـــل

وهو الرجل نفسه لا غيره .

وقد عقب ابن الأثير على ما ذكره أبو علي فقال : « والذي عندي أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الأول لأن الثاني هو التجريد ، ألا ترى أن الأعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريدها وأما الأول وهو قوله لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألته لتسألن به البحر فإن هذا تشبيه مضمر الأداة إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه » الى أن يقول : « ويبطل على أبي علي قوله أيضاً من وجه آخر وذاك أنه قال : إن العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجرداً من الانسان كأنه غيره وهو هو ، وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الأسد لترين منه هضبته . ولئن لقيته لتلقين منه الموت فإن الصورة التي أوردها في الانسان وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردنا مثلها في الأسد فتخصيصه بالانسان باطل وكلا الصورتين ليس بتجريد وإنما هو تشبيه مضمر الأداة » .

والذي نراه أن ابن الأثير تحامل على أبي علي لأن كون هذا المثال من التشبيه المضمر الأداة لا يمنع كونه تجريداً في وقت واحد . وحسبنا ما تقدم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ

﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

اللغة :

(ينزغنك) : النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي والمراد الوسوسة وفي معاجم اللغة : نزغ ينزغ من باب ضرب نزغاً بين القوم أفسد ويقال نزغ الشيطان بينهم أي أغرى بعضهم ببعض ونزغه الشيطان الى المعاصي أي حثه ونزغ الشيطان وساوسه وما يحمل الانسان على المعاصي •

الاعراب :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان حال الكافرين • وان واسمها وجملة قالوا صلة وربنا مبتدأ والله خبر والجملة مقول القول وثم حرف عطف للتراخي في الزمان واستقاموا فعل ماض وفاعل وجملة تتنزل عليهم الملائكة خبر إن •

(ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) أن مصدرية أو مخففة فعلى الأول يصح أن تكون لا ناهية وأن تكون نافية وتخافوا منصوب بأن وعلى الثاني لا يصح إلا أن تكون مخففة ولا ناهية وعلى كل حال هي ومدخولها منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في موضع الحال أي قائلين ، وعلى هذا لا يبعد احتمال كونها مفسرة لأن التنزيل فيه معنى القول ولا تحزنوا عطف على لا تخافوا وأبشروا فعل أمر معطوف على ما قبله وبالجنة متعلقان بأبشروا والتي نعت وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة توعدون خبر كنتم .

(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تتمة مقول قول الملائكة ونحن مبتدأ وأولياؤكم خبر وفي الحياة الدنيا متعلقان بأولياؤكم لأنه جمع ولي من الولاية وهي الحفظ أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وفي الآخرة ويجوز تعليقه بمحذوف حال وفي الآخرة عطف . (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) الواو عاطفة ولكم خبر مقدم وفيها متعلقان بمحذوف حال والضمير يعود على الجنة وما مبتدأ مؤخر وجملة تشتهي أنفسكم صلة ولكم فيها ما تدعون عطف على الجملة السابقة وتدعون من الدعاء بمعنى الطلب والتمني وفي المصباح : « ادعيت الشيء تمنيته وادعيته طلبته » (نزلاً من غفور رحيم) نزلاً حال مما تدعون والنزل تقدم شرحه وهو القرى الذي يهيأ لاكرامة وسمي به المكان مجاز فهو مصدر وقال أبو البقاء : « نزلاً فيه وجهان أحدهما هو مصدر في موضع الحال من الهاء المحذوفة أو من ما أي لكم الذي تدعونه معداً وما أشبهه ومن نعت له والثاني هو جمع نازل مثل صار وصبر فيكون حالاً من الواو في تدعون أو من الكاف في لكم فعلى هذا يتعلق من

بتدعون أي يطلبونه من غفور أو بالظرف أي استقر ذلك من غفور فيكون حالاً من ما » هذا وقد نصبه الجلال بجعله مقدراً .

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ الواو عاطفة ومن اسم استفهام مبتدأ ومعناه النفي أي لا أحد أحسن وأحسن خبر وقولاً تمييز وممن متعلقان بأحسن وجملة دعا الى الله صلة من وجملة وعمل صالحاً عطف على دعا الى الله ، وجعلها أبو حيان حالية وليس ثمة ما يمنع ذلك ، وصالحاً مفعول به أو نعت لمصدر محذوف أي عمل عملاً صالحاً وقال عطف على ما قبله وإنني من المسلمين إن واسمها وخبرها في موضع نصب لأنها مقول القول . ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ﴾ كلام مستأنف مسوق لتشريع المعاملة بين البشر بعد بيان حسن المعاملة بين العبد وبين ربه ولا نافية وتستوي الحسنة فعل مضارع وفاعل ولا السيئة عطف على الحسنة وادفع فعل أمر وبالتي متعلقان بادفع والتي صفة لموصوف محذوف أي بالخصلة وهي مبتدأ وأحسن خبر والجملة صلة وفي هذا الكلام تأويلان ألمع إليهما البيضاوي تبعاً للكشاف قال : « أي ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً أو ادفع بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات » واختار الجلال الأول ومثل له بقوله: « كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو » .

﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ قالوا ان الفاء هي التعليلية الدالة على أن ما بعدها علة ما قبلها وأرى أن الفصيحة هنا أولى لأنها جواب شرط مقدر والتقدير أي إذا دفعت بالتي هي أحسن فإذا الذي ، وإذا للمفاجأة ولا بد من جعلها ظرفاً للمكان لمعنى

التشبيه وهذا مبني على القول باسميته وجاز تقدم هـذا الظرف على عامله المعنوي لأنه يتسع في الظروف مالا يتسع في غيرها والذي مبتدأ وبينك ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة ، وكأنه كان واسمها وولي حميم خبران كأن والجملة التشبيهية في رفع خبر الذي وعبارة أبي البقاء « كأنه ولي فيه وجهان أحدهما حال من الذي بصلته والذي مبتدأ وإذا للمفاجأة وهي خبر المبتـدأ أي فبالحضرة المعـادي مشـبهاً للولي الحميم والفائـدة تحصل من الحال والثاني أن يكون خبر المبتدأ وإذا ظرف لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على العامل المعنوي » .

(وما يلقاها إلا الـذين صبروا) الواو حرف عطف وما نافية ويلقاها فعل مضارع مبني للمجهول والهاء مفعول به ثان والضمـير يعود على الخصلة الحسنة وهي مقابلة السيئة بالحسنة وإلا أداة حصر والذين نائب فاعـل يلقاها وجملة صبروا لا محل لها لأنهـا صلة . (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) عطف على سابقتها مماثلة لها في اعرابها. (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) الواو عاطفة وإن شرطية أدغمت نونها في ما الزائدة وينزغنك فعـل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به مقدم ومن الشيطان حال لأنه كان في الأصل صفة لنزغ ونزغ فاعل مؤخر ، فاستعذ الفاء رابطة واستعذ فعل أمر والفاعـل مستتر تقديره أنت وبالله متعلقان باستعذ وان واسمها وهو ضمـير فصـل أو مبتـدأ والسميع العليـم خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن .

البلاغـة :

في قوله « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » إيجاز بليغ لأن الاستقامة كلمة شملت جميع صفات التقوى ، قال عمر : الاستقامة : أن تستقم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وأنت تعلم ما ينطوي تحت الأمر والنهي من أوامر ومناه . وأقل انحراف عن الطريق المستقيم يخرجه عن استقامته ، ذلك لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين فهو لا يحتمل الانحراف ولو كان أدنى من اليسير .

وفي الآيات من الطباق وجناس الاشتقاق مالا يخفى فلذلك اكتفينا بالإشارة إليها .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

اللغــة :

(ربت) : انتفخت وعلت قبل أن تنبت ويقال للموضع المرتفع ربوة ورابية وسيأتي مزيد من شرحه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ومن آياته الليـــل والنهار والشمس والقمر) كلام مستأنف مسوق لإيراد أربع آيات من آياته تعالى ومن آياته خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر وما بعده عطف عليه • (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) لا ناهية وتسجدوا فعل مضارع مجزوم بلا وللشمس متعلقان بتسجدوا ولا للقمر عطف ، واسجدوا لله عطف آخر والذي نعت لله وجملة خلقهن صلة والضمير يعود الى الآيات ولذلك عبّر عن الأربع بضمير الإناث مع أن فيها ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لأنه لما قال ومن آياته فنظم الأربعـــة في سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبّر عنهـــا بضمير الإناث ، وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وهو فعل الشرط وإياه مفعول مقدم لتعبدون وجملة تعبدون خبر كنتم وجواب الشرط محذوف تقديره فاسجدوا له •

(فإن استكبروا فالذين عنـــد ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) الفـــاء عاطفـــة وإن شرطية واستكبروا فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط ، فالذين الفاء تعليـــل لجواب الشرط المحذوف وتقديره فدعهم وشأنهـــم والذين مبتدأ وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف صلة الذين والظرفية هنا مكانة وتشريف وهي تعبير عن الزلفى والكرامـــة وجملة يسبحون خبر الذين وله متعلقان بيسبحون والليل والنهار متعلقان بيسبحون أيضاً والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وجمـــلة لا يسأمون خبر • (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) الواو عاطفة على

ما سبق ومن آياته خبر مقدم وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر وانك ان واسمها وجملة ترى الأرض خبر وخاشعة حال أي يابسة لا نبات فيها ، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب البلاغة ، ولك أن تجعل الرؤية علمية فتكون خاشعة مفعولاً به ثانياً ، فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أنزلنا في محل جر بإضافة الظرف إليها وعليها متعلقان بأنزلنا والماء مفعول به وجملة اهتزت لا محل لها وربت عطف على اهتزت .

(إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير) تعليل لاهتزاز الأرض اليابسة وربوها وإن واسمها وجملة أحياها صلة واللام المزحلقة ومحيي الموتى خبر إن وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبرها .

البلاغـة :

في قوله « أنك ترى الأرض خاشعة » استعارة مكنية فقد استعير الخشوع وهو التذلل والتقاصر لحال الأرض عند قحطها وجفافها كما استعير الهمود لها في قوله « وترى الأرض هامدة » وكذلك يسري القول على الاهتزاز والربو ، يقال اهتز الانسان أي تحرك ، وربت أي انتفخت وعلت قبل أن تنبت وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره ربت واهتزت ، والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض وقد يكونان بعد خروج النبات الى وجه الأرض فربوها ارتفاعها ، وقيل : اهتزت أي تحركت حركة عظيمة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه وربت أي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الجو مغطياً لوجهها وتزخرفت بذلك النبات كأنها بمنزلة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل .

الفوائـد :

١ ـ تأثير القرآن في نفس عتبة :

أدركت قريش أن أساليبها في صد الدعوة الاسلامية عن المضي في طريقها لم تنجح وانه لا بد من اللجوء الى عمل آخر فتشاوروا على عادتهم وانتدبوا عتبة بن ربيعـة لكي يذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يفاوضه في ترك الدعوة على أن يجمعوا له الأموال حتى يصير أغنى قريش ثم يجعلوا له الرياسات التي يصبـح بها أرفعهـم مقاماً وأعزهم ملكاً أو يلتمسوا له الطب حتى يبرأ من هذا الذي يأتيه فينطقه بكلام عجيب ، وقد استمع النبي الى عتبة صابراً ، فلما انتهى قال له : أفرغت يا أبا الوليد ؟ فقال : نعم ، قال له النبي : فاستمع مني ، ثم أخذ يتلو عليه قوله تعالى : « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » ومضى رسول الله يتلو عـلى زائره سورة فصلت حتى انتهى الى قوله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار » الآية ولما تلا هذه الآية سجد لربه سجوداً طويلاً ثم رفع رأسه واستوى في مجلسه وأخذ يكمل السورة حتى إذا فرغ منها نظر الى عتبـة فإذ هو ملق يديه خلـف ظهره يصغي في هدوء وقد بلغت الآيات منه مبلغاً عظيماً ، قال له النبي :

ـ قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فلم يعقب عتبة بكلمة وانصرف مهموماً يفكر أعمق تفكير في هذا الذي سمع ، فما أن رأت قريش صاحبها حتى قال بعضهم لبعض :

ـ نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس اليهم قالوا له :

ـــ ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال :

ـــ ورائي اني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس .

فقالت قريش :

ـــ سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! فأشاح عنهم وقال :

ـــ هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم .

٢ ـــ موضع السجدة :

اختلف في موضع السجدة ، فهو عند الشافعي « تعبدون » لذكر لفظة السجدة قبلها وعند أبي حنيفة « يسأمون » لأنها تمام المعنى .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ

قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

اللغـــة :

(يلحدون) : بضم الياء مضارع ألحد في دين الله أي جار وعدل وقرىء بفتح الياء مضارع لحد من باب قطع لغة فيه وقال في الكشاف: « يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة • ولم يصب الزمخشري في تقييد المستعار له بقوله في آيات القرآن ، فإنها في الآية الكريمة مستعارة للانحراف من جهة الصحة والاستقامة مطلقاً لا للانحراف عنها في آيات الله وإلا لما احتيج الى قوله في آياتنا ، ومن هنا يبدو الفرق بين الملحد والزنديق والدهري والمنافق •

(أأعجمياً) : تقدم بحث هذه الكلمة ونضيف هنا ما قالوه في يائه قال أبو حيان : « الياء للمبالغة في الوصف وليس النسب فيه حقيقياً » وقال الرازي في لوامحه : « فهي كياء كرسي » والأعجمي هو الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه •

الاعراب :

(إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الملحدين وإن واسمها وجملة يلحدون صلة الموصول وفي آياتنا متعلقان بيلحدون وجملة لايخفون علينا خبر إن .

(أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة) الهمزة للاستفهام التقريري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ومن اسم موصول مبتدأ وجملة يلقى في النار صلة من وخير خبرها وأم حرف عطف ومن عطف على من الأولى وجملة يأتي صلة وآمناً حال وكـان السياق يقتضي أن يقول أم من يدخل الجنة ولكن عدل عن مقتضى السياق ليصرح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم وذلك أثلج لصدورهـم وأقر لعيونهم ويوم القيامة متعلق بيأتي أو بآمناً .

(اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) اعملوا فعل أمر والمراد به التهديد لهم والواو فاعل وما مفعول به وجملة شئتم صلة ما وجملة إنه تعليل للأمر وان واسمها وبما تعملون متعلقان ببصير وبصير خبر إن.

(إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز) الجملة بدل من جملة إن السابقة وان واسمها وجملة كفروا بالذكر صلة ولما حينية أو رابطة وجاءهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وفي خبر إن وجوه أظهرها أنه محذوف تقديره لايخفون علينا ويؤيد هذا الوجه كون إن الثانية بدلاً من إن الأولى فيسري عليها ما يسري على الأولى والقاعدة ان المحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه وذكر المعربون أوجهاً أخرى نورد خلاصتها فيما يلي :

١ ـ انه محذوف لفهم المعنى وتقديره معذبون أو مهلكون وهو وجه سديد أيضاً •

٢ ـ انه محذوف قدره الجلال بقوله : نجازيهم •

٣ ـ انه موجود مذكور وهو قوله فيما بعد «أولئك ينادون» •

٤ ـ انه موجود مذكور وهو قوله : « لا يأتيه الباطل » والعائد محذوف أي لا يأتيه الباطل منهم نحو الشمش منوان بدرهم أي منون منه وتكون أل عوضاً من الضمير في رأي الكوفيين تقديره إن الذين كفروا بالذكر لا يأتيه باطلهم •

٥ ـ ان الخبر قوله ما يقال لك والعائد محذوف تقديره : إن الذين كفروا بالذكر ما يقال لك في شأنهم الا ما قد قيل للرسل من قبلك •

وانه الواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وكتاب خبرها وعزيز نعت والجملة نصب على الحال أي ممتنع عن ان ينال منه أحد بحماية الله وكلاءته ويؤيده قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فلا يستطيع أحد أن يبطله أو يخرمه ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) الجملة نعت ثان للكتاب ولا نافية ويأتيه الباطل فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومن بين يديه متعلقان بيأتيه ولا من خلفه عطف على من بين يديه وتنزيل خبر رابع ومن حكيم متعلقان بتنزيل وحميد نعت لحكيم •

(ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق لتسليته ﷺ على ما يناله من أذاهم وما نافية ويقال فعل مضارع مبني للمجهول ولك متعلق بيقال وإلا أداة حصر وما نائب

فاعل أي إلا مثل الذي وقد حرف تحقيق وقيل للرسل صلة ومن قبلك حــال •

(إن ربك لذو مغــفرة وذو عقــاب أليم) إن واسمها واللام المزحلقة وذو مغفرة خبرها وعقاب أليم عطف على ما تقدم •

(ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلــت آياته أأعجمي وعربي) كلام مستأنف مسوق للرد على تساؤلهم : هلا أنزل القرآن بلغة العجم ولو شرطية وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به وقرآناً مفعول به ثان وأعجمياً نعت واللام واقعة في جواب الشرط وجملة قالوا لامحل لها ولولا حرف تحضيض أي هلا وفصلت فعل ماض مبني للمجهول وآياته نائب فاعل والمعنى بنيت بلسان نفهمه ونفقهه ، أأعجمي الهمزة للاستفهام الانكاري وأعجمي خبر لمبتدأ محذوف أي أهو أي القرآن أعجمي والمرسل به عربي وفيه قراءات بتحقيق الهمزة الثانية وقبلها ألفاً ممدودة ويقرأ بهمزة واحدة وفتح العين على النسب الى عجم ويجوز أن يعرب أأعجمي مبتدأ والخبر محذوف تقــديره أأعجمي وعــربي يستويان •

(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) قل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت أي قل في الرد عليهم وهو مبتدأ وللذين آمنوا حال لأنه كان نعتاً وتقدم ، وهدى وشفاء خبر هو أي انه هاد لهم وشاف لما في صدورهم وكاف في درء الشبه ولهذا ورد معجزاً بلســانهم وسيأتي تفصيل واف لهذا الموضوع في باب البلاغة •

(والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) والذين الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة لا يؤمنون صلة والعائد محذوف أي به وفي آذانهم خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر

ولا بد من تقدير رابط أي منه والجملة خبر الذين وهو مبتدأ وعليهم متعلقان بمحذوف حال ولا يتعلق بالمصدر لتقدمه عليه وعمى مبتدأ مؤخر وأولئك مبتدأ وجملة ينادون خبر ومن مكان متعلقان بينادون وبعيد نعت لمكان وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة .

البلاغـة :

١ ـ الطباق :

« أأعجمي وعربي » طباق بديع يحتمل معنيين أولهما أن الانكار واقع على كون القرآن أعجمي والرسول عـربي وثانيهما أن القرآن أعجمي والمرسل اليهم أو إليه عربي وإنما جاء مفرداً والمرسل اليهم هم أمة العرب لأن مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سبق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل غرضاً آخر ، ألا تراك تقول وقد رأيت لباساً طويلاً عـلى امرأة قصيرة : اللباس طويل واللابس قصير ، ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام يقع في ذكورة اللابس وأنوثته وانما وقع في غرض وراءهما فصح الطباق .

٢ ـ التشبيه البليغ :

وفي قوله « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » تشبيه بليغ ، جعـل القرآن نفس الهـدى ونفس الشفاء يهديهم الى سبل الرشاد ويشفيهم من أوصاب الجنون والالتياث .

٣ ـ الاستعارة التمثيلية :

وفي قوله « أولئك ينادون من مكان بعيد » استعارة تمثيلية شبهت حالهم في النبو عن قبول مواعظ القرآن ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لا يفهم ولا يقبل قول المنادي فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم الى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

اللغـــة :

(أكمامها) : جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمر أو ما يسمى فنياً الكأس ، وفي الكشاف « الكم بكسر الكاف وعاء الثمر » ولكن قال الراغب في مفرداته : « الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه أكمـام » فكلام الراغب يدل على مضموم الكاف إذ جعله مشتركاً بين كم القميص وكم الثمرة ، ولا جدال في كم القميص أنه بالضم فلعل في وعاء الثمرة لغتين دون كم القميص جمعاً بين قول

الزمخشري وقول الراغب ، أما معاجم اللغة فتفرق بين كم الثوب وكم الثمر فنصوا على ضم الأول وكسر الثاني قال في القاموس : « الكم بالضم مدخل اليد ومخرجها من الثوب والجمع أكمام وكممة وبالكسر وعاء الطلع وغطاء النور كالكمامة والكمة بالكسر فيهما والجمع أكمة وأكمام وكمام » ويؤخذ من الأساس وغيره من المعاجم الكبرى ما يلي لتتدبره :

الكم بضم الكاف مدخل اليد ومخرجها من الثوب جمعه أكمام وكممة بكسر الكاف ، والكمــة بضم الكاف القلنسوة المدورة وكل ظرف غطيت به شيئاً وألبسته إياه فصار له كالغلاف .

والكم بكسر الكاف الغلاف الذي يحيط بالزهر أو الثمر أو الطلع فيستره ثم ينشق عنه جمعه أكمة وأكمام وكمام وأكاميم ومن ذلك أكمام الزرع أي غلفها التي يخرج منها .

وأكمة الخيل : مخاليها المعلقة على رؤوسها الواحد منها كمام والكمامة بكسر الكاف غطــاء الزهر ووعاء الطلع ، والكمامة أيضاً بالكسر والكمال ما يكم به فم الحيوان لئلا يعض أو يأكــل الى آخر هذه المادة المطولة .

(محيص) : مهرب من حاص يحيص حيصاً إذا هرب .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في أمر الكتب المنزلة ليس بدعاً فهو قديم في الأمم، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل

وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان والفاء عاطفة واختلف فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وفيه متعلقان باختلف.

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت نعت لكلمة ومن ربك متعلقان بسبقت واللام واقعة في جواب لولا وقضي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر يعود على المصدر المفهوم من قضي أي القضاء وبينهم ظرف متعلق بقضي والضمير في بينهم يعود على كفار قومه ، وانهم الواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وفي شك خبر إن ومنه متعلقان بمحذوف نعت ومريب نعت ثان .

(من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد) من اسم شرط جازم مبتدأ وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وصالحاً مفعول به أو نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت له نظائر والفاء رابطة لجواب الشرط ولنفسه متعلقان بفعل محذوف تقديره نفع أو عمل ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي فالعمل الصالح لنفسه ، ومن أساء فعليها عطف على ما تقدم واعرابه مماثل له والواو يصح أن تكون حالية أو عاطفة وما نافية حجازية وربك اسمها وبظلام الباء حرف جر زائد وظلام مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه خبر ما وللعبيد متعلقان بظلام ، ويصح أن تكون ظلام صيغة نسب كتمّار وبقّال وخبّاز كما سيأتي تفصيها في باب الفوائد ويصح أن تكون صيغة مبالغة وعلى الأول يكون معناه ليس بذي ظلم وقد رجحه غير واحد من المعربين . (إليه يرد علم الساعة) اليه جار ومجرور متعلقان بيرد ويرد فعل مضارع مبني للمجهول وعلم الساعة نائب فاعل .

﴿ وما تخرج من ثمرة من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ الواو عاطفة وما نافية وتخرج فعل مضارع مرفوع ومن حرف جر زائد وثمرة مجرور بمن لفظاً في محل رفع فاعل تخرج ومن أكمامها متعلقان بتخرج وقرىء من ثمرات . وقيل ما موصولة في محل جر عطف على الساعة أي علم الساعة وعلم التي تخرج ، ومن الأولى للاستغراق ومن الثانية لابتداء الغاية والواو حرف عطف وما نافية وتضع فعل مضارع مرفوع ومن حرف جر زائدة وأنثى مجرور لفظاً في محل رفع فاعل وإلا أداة حصر وبعلمه استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي إلا مقروناً بعلمه . ﴿ ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منّا من شهيد ﴾ الظرف متعلق باذكر محذوفاً فهو مفعول به أو انه ظرف لمضمر يقصر البيان عنه وجملة يناديهم في محل جر بإضافة الظرف اليها وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وشركائي مبتدأ مؤخر وقالوا فعل وفاعل وآذناك فعل ماض وفاعل ومفعول به أي أعلمناك الآن وعبارة أبي البقاء : « هذا الفعل يتعدى الى مفعول بنفسه والى آخر بحرف جر وقد وقع النفي وما في خبره موقع الجار والمجرور وقال أبو حاتم يوقف على آنذاك ثم يبتدأ فلا موضع للنفي » . وما نافية ومنّا خبر مقدم ومن حرف جر زائد وشهيد مجرور لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر .

﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ الواو عاطفة وضل فعل ماض وعنهم متعلقان بضل وما فاعل وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يدعون خبر كانوا ومن قبل حال . ﴿ وظنوا مالهم من محيص ﴾ الواو عاطفة وظنوا فعل ماض وفاعل وما نافية ولهم خبر مقدم ومن

حرف جر زائد ومحيص مجرور لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر والنفي معلق للظن عن العمل لفظاً مع بقائه محلاً وجملة النفي سدت مسد المفعولين لآذناك لأنها بمعنى أعلمناك كما سدت جملة النفي السابقة مسد المفعول الثاني لآذناك وعبارة أبي البقاء : « وأما قوله تعالى : وظنوا فمفعولاها قد أغنى عنهما ما لهم من محيص وقال أبو حاتم يوقف على ظنوا ثم أخبر عنهم بالنفي » .

الفوائد :

النسبة على وزن فعّال وفاعل :

اعلم أن العرب نسبوا على غير المنهاج المعروف في النسبة وذلك لأنهم لم يأتوا بياء النسبة ولكنهم يبنون بناء يدل على نحو ما دلت عليه ياء النسبة كقولهم لصاحب البتوت وهي الأكسية وواحدها بت : بتّات ، ولصاحب الثياب : ثواب ، ولصاحب البزّ : بزّاز ، ولصاحب العاج عوّاج ، ولصاحب الجمال التي ينقل عليها : جمّال ، ولصاحب الحمير التي ينقل عليها : حمّار ، وللصيرفي : صراف ، وهو أكثر من أن يحصى كالعطّار والنقّاش ، وهذا النحو إنما يعملون فيما كان صنعة ومعالجة للتكثير إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعته فجعل له البناء الدّال على التكثير وهو فعّال بتضعيف العين لأن التضعيف للتكثير . وما كان من هذا ذا شيء وليس بصنعة يعالجها أتوا بها على صيغة فاعل وذلك لأن فاعلاً هو الأصل وإنما يعدل عنه الى فعال للمبالغة فإذا لم ترد المبالغة جيء به على الأصل لأنه ليس فيه تكثير ؛

قالوا لذي الدرع : دارع ، ولذي النبل : نابل ، ولذي النشاب : ناشب ، ولذي اللبن : لابن ، ولذي التمر : تامر . وقال الحطيئة :

وغررتني وزعمت أنتك لابنٌ بالصيف تامر

أي ذو لبن وذو تمر . وإن كان شيء من هذه الأشياء صنعة وماشاً يداومها صاحبها نسب على فعّال فيقال لمن يبيع اللبن والتمر : لبّان وتمّار ، ولمن يرمي بالنبل : نبال . قال امرؤ القيس :

وليس بذي رمح فيطعنني به وليس بذي سيف وليس بنبال

وربما جمعوا بين اللفظين في شيء واحد ، قال الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطّاعم الكاسي

والمراد المطعوم المكسوّ ، وهذا القبيل وإن كان كثيراً واسعاً ليس بالقياس بل هو مقتصر على السماع فلا يقال لبائع البر : برار ؛ ولا لصاحب الفاكهة : فكاه ، وحمل عليه كثير من المحققين كما قال ابن مالك « وما ربك بظلام للعبيد » أي بذي ظلم والذي حملهم على ذلك أن النفي منصبّ على المبالغة فيثبت أصل الفعل والله تعالى منزه عن ذلك .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

الإعراب:

(لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) كلام مستأنف للشروع في وصف الإنسان في حالتي شدته ورخائه. ولا نافية ويسأم الإنسان فعل مضارع وفاعل ومن دعاء الخير متعلقان بيسأم (وإن مسّه الشرّ فيئوس قنوط) الواو عاطفة وإن شرطية ومسّه فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به والشر فاعل والفاء رابطة للجواب ويئوس خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يئوس وقنوط خبر ثان. والفرق بين اليأس

والقنوط وكلاهما بمعنى قطع الرجاء من رحمة أن اليأس من منعات القلب والقنوط ظهور آثاره على ظاهر البدن وقيل هما مترادفان من غير فارق بينهما، وفي المختار: «اليأس القنوط وقد يئس من الشيء من باب فهم وفيه لغة أُخرى يئس ييئس بالكسر فيهما وهي شاذة ورجل يئوس، ويئس أيضاً بمعنى علم في لغة النخع ومنه قوله تعالى: (أفلم ييئس الذين آمنوا)، وآيسه الله من كذا فاستيئس منه بمعنى أيس» وفي المختار أيضاً: «أيس منه لغة في يئس وبابهما فهم وآيسه منه غيره بالمدّ مثل أيأسه وكذا أيسه بتشديد الياء تأييساً» وفيه أيضاً: «القنوط: اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقانط فأما قنط يقنط بالفتح فيهما، وقنط يقنط بالكسر فيهما فإنما هو على الجمع بين اللغتين» وعبارة الكشاف: «فيئوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير. والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى: (إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون)، (ولئن أذقناه رحمة من بعد ضرّاء مسّته ليقولنَّ هذا لي) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وأذقناه فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به والجملة في محل جزم فعل الشرط ورحمة مفعول به ثانٍ ومن بعد نعت لرحمة أو متعلقان بأذقناه وضرّاء مضاف إليه وجرّ بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة واللام جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسدّ جواب القسم مسدّه على القاعدة المشهورة وهذا مبتدأ ولي خبر واللام للاستحقاق أي أستحقه بعملي (وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) الواو عاطفة وما نافية وأظن فعل مضارع والفاعل مستتر والساعة مفعول أظن الأول وقائمة مفعولها الثاني والواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية ورجعت في محل جزم فعل الشرط وإلى ربي متعلقان برجعت وإن وما في حيزها جواب القسم

ولي خبر إن وعنده حال واللام المزحلقة والحسنى اسم إن وجملة إن لي عنده للحسنى لا محل لها لأنها جواب القسم لسبقه الشرط (فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ) الفاء الفصيحة لأنها جواب لقول الكافر ولئن رجعت، واللام موطئة للقسم وننبئنّ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين مفعول به وجملة كفروا صلة وبما في محل نصب مفعول ثانٍ لننبئنّ و«ما» يحتمل أن تكون موصولة أو مصدرية ولنذيقنّهم عطف على فلننبئن ومن عذاب في موضع المفعول الثاني وغليظ نعت (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أنعمنا في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلى الإنسان متعلقان بأنعمنا وجملة أعرض لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونأى بجانبه عطف على أعرض والجار والمجرور متعلقان بنأى لأن اللام للتعدية وفيما يلي نص عبارة الزمخشري عن هذا التعبير قال:

«فإن قلت: حقق لي معنى قوله تعالى: ونأى بجانبه، قلت: فيه وجهان: أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى «على ما فرطت في جنب الله» أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله:

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب ومنه «ولمن خاف مقام ربه جنتان» إلى أن يقول: فكأنه قال: ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كلّ مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يُراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا «ثنى عطفه وتولى بركنه» وفي قراءة وناء بجانبه فالهمزة مؤخرة عن الألف (وإذا مسّه الشرّ فذو دعاء عريض) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة مسه

الشر في محل جر بإضافة الظرف إليها، فذو: الفاء رابطة وذو دعاء خبر لمبتدأ محذوف وعريض نعت لدعاء وسيأتي في باب البلاغة معنى هذا النعت (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به مَن أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد) أرأيتم: أي أخبروني عن حالتكم العجيبة وقد تقدم القول في أرأيتم. ومفعول رأى الأول محذوف تقديره أرأيتم أنفسكم والثاني هو الجملة الاستفهامية وإن شرطية وكان فعل الشرط واسمها مستتر تقديره هو أي القرآن ومن عند الله خبر، ثم كفرتم عطف على كان من عند الله وجواب الشرط محذوف تقديره فأنتم أضلّ من غيركم أو ليس ثمة أضلّ منكم وجملة الشرط اعتراض بين المفعولين الأول والثاني ومن اسم استفهام مبتدأ وأضلّ خبر وممّن متعلقان بأضلٍ وهو مبتدأ وفي شقاق بعيد خبر والجملة الاسمية صلة الموصول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) السين للاستقبال ونُريهم فعل مضارع ومفعول به أول وآياتنا مفعول به ثانٍ والرؤية هنا بصرية فلذلك عدِّيت إلى اثنين فقط وفي الآفاق حال من الآيات والآفاق جمع أُفق وهو الناحية وهو كأعناق في عنق أُبدلت همزته ألفاً، ونقل الراغب «أنه يقال أفق بفتح الهمزة والفاء فيكون كجبل وأجبال والأفق الذي بلغ نهاية الكرم تشبيهاً في ذلك بالذاهب في الآفاق والنسبة إلى الأُفق أُفقي بفتخهما قلت: ويحتمل أنه نسبة إلى المفتوح واستغنوا بذلك عن النسبة إلى المضموم وله نظائر» وفي أنفسهم عطف على في الآفاق (حتى يتبين لهم أنه الحق) حتى حرف غاية وجر ويتبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وحتى وما بعدها متعلق بقوله سنريهم وأن وما في حيزها فاعل تبين (أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي والواو حرف عطف على مقدر يقتضيه السياق أي ألم يغنهم ولم يكفهم والباء حرف جر زائد وربك مجرور لفظاً مرفوع محلاً والمفعول به محذوف أي أو لم يكفك ربك، وأن وما في

حيزها بدل من ربك فيكون مرفوع المحل مجرور اللفظ وقيل الباء مزيدة في المفعول وأن ما بعدها في محل رفع فاعل أي أو لم يكفِ بربك شهادته وأن واسمها وشهيد خبرها وعلى كل شيء متعلقان بشهيد (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط) تقدّم إعراب نظيرتها.

البلاغة:

في قوله «فذو دعاء عريض» استعارة مكنية تخييلية فقد استعير العرض لكثرة الدعاء وديمومته وهو من صفات الأجرام ويستعار له الطول أيضاً ولكن استعارة العرض أبلغ لأنه إذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله؛ شبّه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد ثم أثبت له العرض، والطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه بهذه المثابة فناهيك بطوله.

الفوائد:

الرجل اللعين: شيء يُنصب وسط الزرع لإخافة الطيور، والبيت للشماخ وقبله:

وماء قد وردت لأجل أروى عليه الطير كالورق اللجين
ذعرت به القطا البيت.

وأروى اسم حبيبة الشاعر واللجين: بفتح اللام وكسر الجيم ما يتساقط من الورق من اللجن وهو الدق لأنه يضربه الهواء أو الراعي فيسقط من الشجر وذعرت بفتحتين أي أخفت فيه القطا وخصّها لأنها أسبق الطير إلى الماء والرجل اللعين هو الصورة التي تنصب وسط الزرع تطرد عنه الطير والهوام، يقول: ورب ماء قد وردته لأجل محبوبتي على أن تجيء عنده فأراها وشبّه الطير حول الماء بورق الشجر المتساقط في الكدرة والكثرة والانتشار وكالرجل اللعين حال من ضمير الشاعر فيفيد أنه سبق القطا والذئب وقعد هناك، أو حال من الذئب أي على هيئة مفزعة وفيه دليل على شجاعة الشاعر وجرأته.